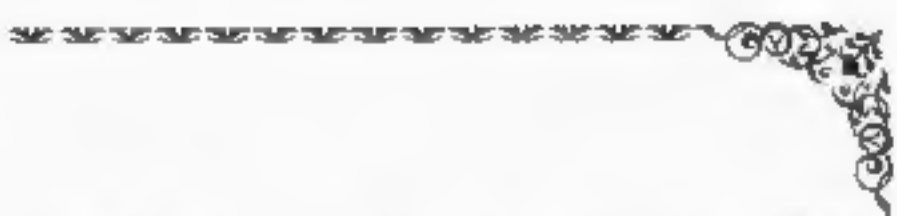


أخي العزيز
من فضلك

إذا أعجبك الكتاب فم بشير الله



الدعوة إلى الله



الناشر: دار الفاروق للنشر والتوزيع

👉 الحائزة على الجوائز الآتية 👈

- جائزة أفضل ناشر ثقافي عام في مصر لعام ٢٠٠٤
- جائزة أفضل ناشر للأطفال والناشئة في مصر لعام ٢٠٠٣
- جائزة أفضل ناشر مدرسي في مصر لعام ٢٠٠٢
- جائزة أفضل ناشر للترجمة من وإلى اللغة العربية في مصر لعام ٢٠٠٢
- جائزة الإبداع في مصر لعام ٢٠٠٢ (الجائزة الذهبية)
- جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠١
- جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠٠
- المركز الرابع كأفضل دار نشر على مستوى العالم
- في مجال الترجمة في معرض فرانكفورت عام ٢٠٠٠

وسط البلد: ٣ شارع منصور - المبتديان - متفرع من شارع مجلس الشعب

محطة مترو سعد زغلول - القاهرة - مصر.

تليفون: ٧٩٥٢.٢٢ (٠٠٢.٢) - ٧٩٤٢٢.٢ (٠٠٢.٢)

فاكس: ٧٩٤٢٦٤٣ (٠٠٢.٢)

العنوان الإلكتروني: www.darelfarouk.com.eg

حقوق الطبع والنشر محفوظة


لدار الفاروق للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ٢٠٠٥



عدد الصفحات ٢٢٤ صفحة

رقم الإيداع ٨١٢٥ لسنة ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: 1-938-345-977



الدعوة إلى الله



فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
جاء الحق علي جاد الحق
رحمه الله

التعريف بالإمام الأكبر

فضيلة الشيخ جاد الحق

مولده ونشأته:

هو فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق، حنفي المذهب، ولد بجهة بطرة مركز طلخا محافظة الدقهلية في عام ١٩١٧م، حفظ القرآن الكريم وجوده بعد أن تعلم القراءة والكتابة بكتاب القرية، ثم التحق بالجامع الأحمدى بطنطا في سنة ١٩٣٠م واستمر فيه حتى حصل على الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٣٤م وواصل فيه بعض دراسته الثانوية، ثم استكملها بمعهد القاهرة الأزهرى حيث حصل على الشهادة الثانوية سنة ١٩٣٩م، بعدها التحق بكلية الشريعة وحصل منها على الشهادة العالية سنة ١٩٤٣، ثم التحق بتخصص القضاء الشرعى في هذه الكلية، وحصل منها على الشهادة العالمية مع الإجازة في القضاء الشرعى سنة ١٩٤٥م.

• مناصبه:

عمل فور تخرجه موظفًا بالمحاكم الشرعية، ثم أمينًا للفتوى بدار الإفتاء المصرية، ثم قاضيًا في المحاكم الشرعية، ثم تدرج في القضاء بعد إلغاء المحاكم الشرعية حتى أصبح مفتشًا أول بالتفتيش القضائي بوزارة العدل.

• منصب الإفتاء:

عين فضيلة الإمام مفتيًا للديار المصرية عام ١٩٧٨، فكرس كل وقته وجهده في تنظيم العمل بدار الإفتاء، وعمل على تدوين كل ما يصدر عن الدار من فتاوى في تنظيم دقيق حتى يسهل الاطلاع عليها عند الحاجة في أقل وقت ممكن، ثم توج

عمله بإخراج الفتاوى التي صدرت عن الدار في قرابة ثمانين عاماً من سجلات الدار حتى تكون في يد كل مسلم يريد الاطلاع عليها والاستفادة منها.

• وزارة الأوقاف ومشيخة الأزهر:

في يناير من عام ١٩٨٢ اختير فضيلته وزيراً للأوقاف، وفي نفس العام صدر القرار الجمهوري بتعيين فضيلته شيخاً للأزهر.

• إنتاجه العلمي:

لفضيلته العديد من الأحكام القضائية التي اشتملت على بحوث واجتهادات فقهية أخرجها طوال عمله بالقضاء، وكذلك البحوث الفقهية والتقارير الفنية في التفتيش على أعمال القضاة.

وقد تم نشر هذه البحوث في مجلة المحاماة الشرعية وغيرها من المجلات. أما الفتاوى فثابتة بسجلات دار الإفتاء وبها مجموعة من الفتاوى الخاصة بأمور مستحدثة لم تطرح للبحث من قبل. هذا بخلاف الأبحاث المطولة التي قدمها فضيلته في المؤتمرات التي شارك فيها أو التي ترأسها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :

فبتوفيق من الله عز وجل جمعت المقالات والأحاديث التي كتبها صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر الشريف، وقد سجلت هذه الأحاديث لمحطات الإذاعة المرئية والمسموعة المختلفة منذ أن تولى فضيلته مشيخة الأزهر عام ١٩٨٢م. كما أن بعض المقالات نشرت في الصحف اليومية والمجلات المختلفة وبعضها الآخر مازال محفوظاً.

وقد وردت مكاتبات من جهات مختلفة تطلب جمع هذه الموضوعات وطبعها في كتب حتى تكون متداولة بين الناس ويمكن الاستفادة بها كتراث مفيد، وكان هذا في الاعتبار حيث قام مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بجمع هذه الموضوعات وترتيبها وإعدادها وتجهيزها وتبويبها وبعد إذن وموافقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر تم تقسيم هذه المقالات إلى مجموعات تحمل كلها عنواناً عاماً واحداً (أدعُ إلى سبيل ربك) وكل مجموعة تحمل عنواناً خاصاً.

فهذا الكتاب هو الأول: بعنوان: (الدعوة إلى الله)، والكتاب الثاني: بعنوان: (النبي في القرآن)، والكتاب الثالث تحت عنوان: (أخلاقيات).

وقد سبق أن المكتب أصدر لفضيلته سلسلة أخرى تحمل العناوين الآتية: (الفقه الإسلامي - مرونته وتطوره)، (مع القرآن الكريم في شهر رمضان)،

(أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية عن الأمراض النسائية)، وسلسلة أخرى بعنوان: (بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة) وقد صدر منها خمسة أجزاء، ويعد الآن لإصدار الجزء السادس وما يليه - إن شاء الله.

أما الكتاب الأول الذي بين أيدينا، فيشتمل على موضوعات في الاقتصاد الإسلامي وأسسها في القرآن الكريم، وهموم المسلم المعاصر من منظور إسلامي، وحقوق الإنسان من منظور إسلامي، والأقليات الإسلامية، ورعاية الإسلام للمصلحة وتيسيره على الناس.

والإسلام كرسالة عالمية يخاطب الناس جميعاً على أساس العدالة والمساواة والمصالح المعتبرة في الإسلام ومنهج التدين في الإسلام ودور المسجد في التوجيه الاجتماعي للمجتمع المسلم والإسلام والسلام مع الله ومع النفس ومع الناس.

ويعرض كذلك لدعائم الوحدة بين المسلمين وحرص الإسلام على طهر الغاية وشرف الوسيلة والعقيدة وأثرها في الإصلاح والأمومة في الإسلام والأموال واستثمارها في الإسلام وصور من يسر الإسلام وأدابه والعلم والتعليم في الإسلام وأهمية النية في الإسلام ونظرة الإسلام إلى المال والعمل.

ويعرض أيضاً لتكريم الله للإنسان وحرمة قتل الإنسان إلا بالحق وكيف يكون المسلم مع خالقه ومع مجتمعه وحق الطريق ويذكر وسائل بناء الشخصية في الإسلام وكيف أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن قوة الأمة في وحدتها.

ويتناول أيضاً واجب الأزهر في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة ودور الأزهر في تحقيق التآلف والتضامن بين الشعوب الإسلامية ومشاركة الأزهر في صياغة نظام إنساني عالمي وحوار الثقافات العالمية ودور الأزهر فيه.

مقدمة

مما سبق، يتضح أن فضيلته تحدث في موضوعات شتى تهم كل قارئ وتفيد كل باحث، وتثري المكتبة الإسلامية.

أسأل الله تعالى القدير من فضله العظيم أن تكون هذه السلسلة مما يعم بها النفع، وأن يجزي فضيلته خير الجزاء، وأن تكون في ميزان حسناته ومن عاونه. وسيتوالى - إن شاء الله - إصدار هذه الأجزاء. والله من وراء القصد.

وكيل الأزهر

(أحمد السيد أحمد مسعود)

الدعوة إلى الله

ألقى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق كلمات هادفة في مناسبات إسلامية جاهرة، كان لها سبيلها الواضح في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما كتب عدة مقالات تنحصر هذا المنحى في ظروفٍ تتطلب الهداية الموجهة، والإرشاد المصلح، فكان ما ألقاه وما كتبه موضع اهتمام ممن سمع ومن قرأ. وتوالى الرسائل من شتى الجهات تطلب هذه التوجيهات، فكان صاحبها الكبير يرسل صوراً منها لمن سأل، ثم رأى أن يجمع بعضها في مجموعة متصلة تغني عن الإرسال المنقطع، ليكون في ائتلافها التماسك أيسر سبيلاً إلى القراء، ولتؤدي دورها الهادي في إيقاظ الوعي وإذكاء الهمم وتنوير الأذهان وأقول تنوير الأذهان عن عمد لأن لفظ التنوير اليوم قد بُعد عن سبيل الحق في كثير مما يعري إليه، فالتنوير من النور، ولن يكون إلا من مشكاة كتاب أرسله الله بوراً للناس، وحدد معالمه إذ قال جل شأنه

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ بِضَوَائِهِ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾^(١)

(١) الأيـان ١٥، ١٦ من سورة المائدة.

الدعوة إلى الله

وإدراك هؤلاء بذكرهم لاستناد الإمام محمد عبده - رحمه الله - في طليعه من بدعوتهم من أصحاب السويرة، فمادام لا يسلكون سبيله في الدعوة إلى دين الله والعمل على إقامة الشريعة الإسلامية في كل وارف من كتاب الله وسنة رسوله و جهاد الأئمة الأحرار ممن فقهوا الدين على وجهه الصحيح

هذه حاضرة سحب لأبى مناسبة وأعود إلى هذه المجموعة، فأجد حفلاً بصيراً بجمع الثمر الهنيئ منسبها و غير منشبه، وهي في لبابها ذات مصموم متحد، ولكنها في بسيفها التليفي هي كتاب منصر الفصول يدعو إلى تقسيم منقارب، بحيث يبدؤ القارئ بكلمات ذات صانع عام عن الإسلام بمعناه العام. ثم يجد كلمات نالية ذات خواطر قرآنية تستمد معانيها من كتاب الله، ويتلث بمجموعة نتحدث عن السوكة الخفي كما عبده الإسلام وقد قلب إن المصموم لعام متحد، وأن الروح الدينية الشائعة لا نفع أن بدرج بعض هي بعض، ولكن محاولة التقسيم أهدي إلى إنارة القارئ، وتبصره بما يعين.

ففي المجموعة الأولى، يجد لدارس فصب من المعاني يعين على تحصيل رأي الإسلام في مختلف آراء البصارية. وقد بلط النقد سهولة الأول وسر البصر بالقبس إلى ما يدري عن إمام الأكبر مع بعد العوص وبقه الحوض هي فتاويه لفهية لأنه في الحال لثاني حاصب فقهاء اصلاء، ويحرص على استتبط المحول من المعلوم وهو في المجال الأول يحرص على أن يتفع كرقارئ - أياً كان مستواه العلمي - بما قرأ من ليوحيات، لذلك سار حديثه شفافاً رائقاً يرده الضمى، فيروي مسنوح وقد عبدي من هذه الكلمات ما نحدث به الامام عن هموم المسلم المعاصر وعن حقوق لإنسان في المبطور الاسلامي وعن تطبيق اشريعه الإسلاميه وعن دعم الأقليات المسلمه في شتى بقاع العالم شرفيه وعربيه، لأن هذه الموضوعات ذات رنين مؤثر في قلوب المسمين جميعاً

لندعوه إلى الله

ففي الحديث عن هموم المسم لمعاصر وملاح هذه الهموم من منظور إسلامي، أثار الأستاذ الأكبر في برة اسنة إلى ما ررعه الاستعمار في أرض المسلمين من مواطنين هم أشد على لشعوب الإسلامية ظلمًا وفتكًا من سائفيهم، يدعوا إلى البفاة الوافدة، والعرب لخير، فصداً إلى احرف المسلمين عن عبدة الإسلام. وقد نجح هؤلاء في تفريق الكلمة و صصفاء زعمات تحت عن مصمعه الشخصية وتتحد لشعارات سبلا إلى ك الفن وإتارة الانقلابات، فوقع لواقعة وصار بأس المسلمين بيهم في يارهم شديداً، تحسبهم جميعاً وقويهم شتى.

يقول الإمام الأكبر

ومن هنا، تعمقت لخلاف، ووجهت المساعدات، فتساقط العصر في فنة المال، والبعض في فنة السلاح الذي أغرى حملته إلى اسبعماله في ثاره الفن، وإشاعة الخوف والاضطرب في صفوف الشعوب الإسلامية، وراحوا مع هذا يبدون دور الفن والسك في التفافه لشغل الناس بما فسوا به عن، لشط المتمر، وتعمقت لخلافات لفرعة والمذهبية، وكات لحماعب والجمعيات المتخالفه والمتخاذلة.

ومضى الحديث متتابعاً عن الوقع الاجتماعي، إذ لم يكن بوفر حظا من لواقع السياسي، حيث انخلع المسلم عن مثل لإسلام، وانقرط عقد الأسرة، وفقد لرحم و لتود، ثم كات الصامة في الواقع الاقتصادي حيث غلب النظام الاشتراكي في أكثر دول العالم لإسلامي، مع أن المسلمين لدهم نظامهم لتشريعي زراعة وصناعة وتجارة واقتصاد

هذا بعض ما قبل عن هموم المسلم المعاصر. أما ما كتبه الإمام الأكبر عن حقوق الإنسان في المنطور الاسلامي، فهو مع سهولته لواقحة دسم عزيز المادة،

إد بدأ بعرض ما يقوله رجال القانون من أن حقوق الإنسان والحريات العامة لا تدخل ضمن الحقوق القانونية، لأن الحق بمعناه القانوني لديهم يقابله الواجب، وهو غير متوافر في حقوق الإنسان. وقد ناقش الإمام ما يعنونه من كلمة الحق لينتهي إلى ما قرروه من أن بعض الحقوق الشخصية مثل حرية الاعتقاد وحرية الاجتماع وحرية التعاقد تفقد مقومات الحقوق بالمعنى الدقيق، لأنها تثبت للناس كافة دون اختصاص بعضهم بها على سبيل الإيثار. ومن هنا، تكون تسميتها حقوقاً من باب التجاوز في التعبير.

هذا لبّ ما يعنونه أصحاب القانون الوضعي في مفهومهم الخاص بالحق. وقد دفعه الإمام الأكبر بقوله "أين منطق الدراسات الإسلامية في حقوق الإنسان؟ إذ الملحوظ منها أنها تتضمن التزامات أو واجبات على طرف يكون في ضمنها مصالح وحقوق لطرف آخر. فالأمر بأداء الأمانات إلى أهلها أوجب حقاً لأصحاب الأمانات أن تؤدي إليهم، والذهي عن بخس الناس أشياءهم يتضمن تقريراً لحق الآخرين أن تحفظ عليهم أشياءهم، وللهي عن قتل الإنسان بغير نفس أو فساد في الأرض يتضمن بدلالته حقاً لكل نفس أن يحافظ عليها وألا يسفد دمها في غير قصاص." ومضى الباحث يعرض أمثلة شتى من الإحسان، ومسؤولية الحاكم وحق الرعية ومبدأ عدم الإكراه في الدين، إلى أن قال "وأول من نبه من علماء المسلمين على قيام العلاقات بين الناس على أساس رابطة من الحقوق والواجبات هو الإمام الغرالي في كتاب "إحياء علوم الدين" مبشياً إلى أن فكرة تكريم الإنسان وهي القاعدة التي أقيمت عليها حقوق الإنسان في هذا العصر أساسية في الشريعة الإسلامية، وأن مصالح والمنافع والرخص والمباحات التي تضمنتها نصوص الشريعة لصالح الفرد والمجتمع يسوغ أن تسمى حقوقاً للإنسان في لغة العرب، لا سيما في ميادين الحرية والمساواة والشورى والأمن والتعاون على البر

الدعوة إلى الله

والتقوى، بل يكفي أن يكون عنوان حقوق الإنسان في الدراسات إسلامية قول
به

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي آثَرِ وَالْبَحْرِ وَزَرَقْنَاهُمْ مِنَ أَنْطِيسِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝ ﴾ (١)

أم صبيحة الإمام الأكبر لحازمة التي نشرها تحت عنوان "تعالوا إلى كلمة
سواء"، فقد كشفت ما أحدثه العلمانيون من بلبلة فكرية، حين تحدوا رغبات لأمة
جميعها في ضرورة تطبيق أحكام الشريعة، وتذرعوا أسباباً لا تمت إلى البحث
المحلي بسبب. وهؤلاء جميعاً لا يعرفون عن فقه الشريعة ما يتيح لهم أن يتحدثوا
عنها في قليل أو كثير وقد خدعوا فريقاً من الناس واسترهبوهم بما خلعوا على
أنفسهم من ألقاب لا تمت إلى الحقيقة بسبب، إذ أطلقوا لفظ "المفكر الإسلامي"
والمجدد الإسلامي" وأمثال هذه البعوت الكاذبة على من لم يعرف عن الإسلام غير
لهتاف بتحيته عن التشريع، ومن يظر أن المسيحية كإسلام دين لا دولة، مع أن
كتاب الله واضح لا اشتباه فيه. وعدونتهم لصحف اليومية في نشر مقالاتهم
لمخصصة دون أن تسمح بالرد عليها لمن يملكون التصويب والتسديد لذلك، كان
لإمام الأكبر واضح الاتجاه حين صاح في وجوه هؤلاء قائلاً

هذا الجدل الصارخ الذي نعزل عن الطريق الحق عندما نحاً بالقضية -
فضية تطبيق الشريعة الإسلامية - إلى سبيل من الصد عن سبيل الله وعن
الاستقامة إلى تحريف متعمد للمفاهيم والقيم الإسلامية، حتى لقد بلغ ببعض

(١) الآية ٧ من سورة الإسراء.

لكتاب أو لمحاورس الجاور بان قال إن حدود الإسلام وأحكامه شرعت لتعقيد الإسلام، وقد تجاوزته الحاة الحصرة بمعصلانها وحضاربها

إلى أن يوجه القور إلى لفائمين على أدوات لإعلام من صحافة وإدعة وطبع وشتر فيسألهم حاراً هل راعيم حوقه و لوطن حين تثيرون هذه الحملة الضالة على الشريعة وتصيفها ونأحبون سوء النصق أو بحرافه في بعض البلاد مثلاً على عدم صلاحيتها فذهبتم نحرفون الكلم عن مواضعه بعلم أو بعير عجم، وعاب عكم أن هد اشعب المتدين - مسلمين ومسححين - لا يرصى مكم ولا لكم هذا، بل إنه ليسوءه ان بهوي لمعاول لهدم دينه وشريعته، بل وحدنه الني عت في كل الأرمات والملمات.

وفي كلمات الأستاذ الأكبر حول هذا الموضوع في شتى المناسبات سبسة - وكانت تتلق في الصحف اليومية يمكن بارز - لا يخفى على قارئ ينشد الحقيقة، في هذه الكلمات ما يكفي لردع الهجمة الصارية على الشريعة من أناس لا يعرفون شيئاً عن جوهرها لصحيح وهم في أنطار أنفسهم "مفكرون إسلاميون" وفيهم من يعرف ولكنه يحدد الحق لحاجة في نفس ذات التواء.

ولا يقل تأثيراً ونفاذاً عن هذه الصيحة المدوية م رده الإمام الأكبر كثيراً بشأن لأقليات الإسلامية وحر مشكلاتها من جانب لعالم الإسلامي ويقيني أن كلمات الإمام الأكبر تفسح لطريق إلى دعوة مؤتمر عام يجمع ممثلي الإسلام من شتى بلاد، ليرصدوا ماساء هذه الهجوم الوحشي على دول إسلامية كل ااثامها أنها تتمسك بدين به، ولا نسيء إلى احد، وقد مصى رمان كانت أوروبا فيه ترمي لشعوب لإسلامية بالتعصب بغاً دون حق، حتى قال شاعر الببل حفظ إبراهيم

أو كلما باح الحزين بائة أمست إلى معنى التعصب تنسب

الدعوة إلى الله

مضى هذا الزمن، حين سفرت أرواب ليوم عن وجهها، وأيدت العدوان الباطر على بلاد الإسلام، بل ساعدت على استمراره واشتعاله بما يجعل كلمة العصب هون كلمة تفل هي هذا السلوك، لهمحي لنشأ، وسيعلم لدين ظلموا، أي منقلب ينقلبون.

ما الخوطر لقرآنية - وهي القسم الثاني هي لجموعة، فقد نعهد لإمام لأكر سبيل النسب المبسر في محاسنها لتفكري، إذ حاط بها المستمعين هي شتى بلاد لإسلام، حين تحدث عن أدب لدعوه كم علم الله رسوبه في كتابه العزيز، وحين تحدث عن المحي لأخلاف في القرآن، وعن لإنسان كما صورته الكذب العزيز سلوكاً وافداً، وعن خطوط الإيقاد من الموقف كما وضحتها انقران لكريم، وفي نطاق هذه لخواطر القرآنية، أفصح المحال للحديث عن رسول الله - ﷺ - كما جاء في كتاب الله، وعن رحمته بالمؤمنين، ومعجزته الخالدة على مر الأجيال ولم ينس - وهو لفقه الحاشية - حين تحدث عن فريضة الصلاة على رسول الله - ﷺ - أن يذكر قول، لأئمة بهذا لصدد - هتشر إلى آراء مالت بن نس واشفعي وأبي جعفر لصادق إشارة لمؤيد لمحبذ. ولا يسع لمجال لسط ما تصبنته هذه لفصول من فوائذ، ولكني أفف عند بحث فتم سحبه لإمام لأكر تحت عنوان "مفاهيم حول القرآن - لتفريط والغلو"، إذ جاء هذا البحث على سهولته لشهادة، حاوياً له فالة الأحنافيون عن لصربة لوسط هي الميراث لحقي، دور أن يرهو السامع بصطلاحات فلسفية لا داعي لها في هذا المجال، بل تحدث عن لمعني المحددة، من مثل ألفظ التقربص وإفراط والغلو واعتدال، موضحاً مرتب لاعتدال في أسامها وأعلاها ووسطها، ومستشهداً لكل مرنة بما جاء في القرآن لكريم والحديث لشريف ومؤكداً ضرورة الاتزام بالوسط البافع أم ما جلاه لشيخ الأكبر من حديث الغلو ومظاهره، فقد ابصح في قوله، بتصرف يسير

الدعوة إلى الله

قد يكون الغلو في الدين بسبب المبالغة في الاندفاع بقوة ودون بصيرة طلباً لنوال أعلى الدرجات في الدين، وعالم ما يرافق هذا الاندفاع حركة متسارعة واصطراب هي، برؤية والفكر وفساد في الصور، وقد يكون الغلو في الدين بسبب سوء الفهم لحقيقته الدين، إما من حثادات لمعالي أو احتهادات معلمة وقائده. ومن هذه المعللة إدخال الرأي، للشخصي في قصايا الدين وأحكامه وشرائعه، دون أن يتأهل لذلك بالعلوم والأدوات المناسبة وقد تأتي اسافع، الدنيوية مع لرغبة في احتلال مركز التقدير، مضافة إلى ذلك، وبعض الغلاة في الدين يعملون على إفساد مفاهيمه والانحراف عنها، ومن ثم كان الغلو في الدين خروجاً عن حدوده. ثم اتبع ذلك حديث هادف عن لتفريط والغلو في العقائد وعن التهون في لواجبات والتفريط فيها. وقد وقف الإمام أمام الحدود وقفه بصيرة، حيث قسمها إلى مستويين، أحدهما يكون بعدم الاقتراب منها وذلك باحذر والورع.. وثانيهما يكون بعدم تجاوزها، إذ أن من دخل لحد، يحكم عليه بالتجاوز حتماً.

يقول الله عز وجل

﴿وَبَلَدٌ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (١)

أما ما ذكره الإمام من مظاهر التفريط في الأحكام الشرعية عن طريق التلاعب بالنصوص أو متابعة للأهواء وعن طريق تنوع الآراء الاجتهادية الضعيفة التي لا سند لها، والأخذ برخص المذاهب لجرد التخفيف من تبعات النكاليف، فذلك اتصح للقارئ المنصف دون أن يداخله دنى ريب. وأقول للقارئ المنصف - لأن من القراء من ضرب به على سمعه وقلبه وحمل على بصره غشاوة فحاد عن

(١) من الآية ١ من سورة الطلاق.

الدعوة إلى الله

الصراط لقويم. ومحاولة تلخيص هذا البحث الجاد في هذه السطور القليلة لا تجد غير التنبيه إلى أصله المسجل هي صفحات الكتاب وهي ذلك كفاء.

بقي لقسم الثالث "وهو أحاديث السلوك الإنساني في ظن الإسلام وقد جاء على سعته الشاملة مبسطاً سهلاً هيباً، لأن دروس الأخلاق الإسلامية نصلت مراعاة عقول الناشئة من المراهقين والفتيات، حتى يهضموا سنن الإسلام في التوجيه لخلقهم. ونحن نعهد نفر من دارسي الأخلاق في هذا العصر يمتنون الصفحات براء أفلاطون وأرسطو ونفر من فلاسفة الإسلام في قضايا الخير والشر والخبر والاختيار، فيغوص القارئ في نظريات جدلية فلسفية، إن أمتعت عقله فقد نرت عن استحابة وجدانه. كما نرى نفر آخر يرهقون القارئ بدسامة ما يغوص عليه في هذا البحر الهائج. وكتاب الإحياء للغزالي على جلاله قدره، وحصوبة ثمره كتاب الخاصة وحدهم، لذلك جاء حديث الإمام الأكبر عن الحلم والحياء والنصح والتواضع وحسن الجوار وذل المسألة وعيادة المريض والاحتكار وادب البيع والشراء والصدق والكذب والوفاء والاستئذان والتفاؤل والتشاؤم والرحمة والإيثار وإفشاء السلام مما يصلح أن يكون مقرراً دراسياً لطلبة المعاهد الدينية، لأننا في عهد الطلب الغابر لم نجد دروساً للأخلاق الإسلامية تستقل بمنهج خاص، بل كانت تلوح على أبعاد في دروس التفسير والحديث. ولو اهتم بها المهج الدراسي اهتمامه بدروس الفقه والنحو والصرف لساعدت على بناء شخصية إسلامية ذات صلابة وإيمان فهل يستجيب المسؤولون عن المنهج في المدارس والمعاهد جميعاً بالجمهورية المصرية وسائر ابلاد الإسلامية إلى اقتراح يجعل دروس الأخلاق ذات منهج مستقل لينشأ الطالب على السنن الحميدة وتقيه عشرات البيئة الجامحة ذات الإعلام المنحرف، هي أكثر ما يقرأ ويرى ويسمع' هذا ما أرتحيه.

الدعوة إلى الله

وإيماءً لمودح مما نحدث عنه لإمام الأكر في هذا المجال، استشهد بما كتبه تحت عنوان فلنحرب هذا لدواء إذ اتخذ مذاره الهادي من قوله عز وجل

« ذَلِكَ نَارٌ آتَتْهُ لَمْ يَكُ مَعِيَ نِعْمَةٌ أَنْعَمَهَا عَلَيَّ قَوْمٍ حَتَّى يُعْجِرُوا مَا بِنَفْسِهِمْ
وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »^(١)

فقال بصدد هذا النص الكريم

« أَقَامِينَ أَهْلُ الْفُرَى أُنْ يَأْتِيهِمْ نَارٌ نَارًا وَهُمْ يَأْمُرُونَ ۚ وَأَمْسِ أَهْلُ الْفُرَى
أُنْ يَأْتِيهِمْ نَارٌ صَحَّى وَهُمْ يَنْعُرُونَ ۚ أَكْأَمُؤُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَمُنُّ مَكْرَ اللَّهِ
لَا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ »^(٢)

ونحن المسلمين نواجه في هذا العصر فتنة كقطع الليل لمظلم تواكت معها
لحن، حتى تفرقت بنا السبل، ولم يعد يفرق بين النفع والضرر انبهاراً بامانة حتى
انصرفت هممتنا إلى تحصير ما لا بقاء له، وعاب عما أن في طهاره النفس ونقاء
الروح وتقوى به الوقود لدى لا يفنى، وصولاً إلى السعادة في هذه الحياة، وبوم
سقى به إيماناً بوعده الله الذي لا يتخلف في قوله تعالى

(١) آية ٥٢ من سورة الأنفال.

(٢) آيات ٩٧ ٩٩ من سورة الأعراف

إلى أن قال

وإن هذا الدواء من عُصْرَيْن - إيمان والتقوى.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسُونَ ١٠١ ﴾^(١)

فإيمان استمساك بعقيدة الإسلام، بكافة عاصرها وأصولها وفروعها، والتقوى التزام في الأداء بحدود كتاب لإسلام، وبما في هد من تحمل المسؤولية التي أجمّلها الله في قوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ ءَعْلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٢٤ ﴾^(٢)

وبعد، فهذه مقدمة لكتاب حاول لا يعني القارئ عن استيعابه ولكنها تنعت فيه الرعية إلى قراءته المتأنية في نقطة واعية، وتفهم رشيد.

د. محمد رجب البيومي

(١) الآية ٩٦ من سورة أعراف.

(٢) الآية ٦ من سورة التحريم.

الاقتصاد الإسلامي وأساسه في القرآن والسنة

بحمد الله الذي شرع للناس ما فيه صلاحهم وبصلي ونسلم على محمد رسول الله ﷺ الذي أرسله ربه إلى بني الإنسان كافة بشيراً ونذيراً وسراجاً مبيراً،
فبشر لهم عن ربهم ما يهديهم إلى طرق معاشهم واستثمر كل ما خلق الله
لإسعادهم، كما قال سبحانه

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَىٰ سَّمَاءٍ فَسَوَّاهُ
سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾^(١)

وقال

﴿ وَسَخَّرْنَاكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّمَّا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾^(٢)

فكان على الناس أن يستثمروا وأن ينتفعوا بذلك كله وأن يعمرُوا هذه الأرض،
بن يعمرُوا الحياة عليها، كما أشار القرآن في قوله تعالى

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ لِيهِ عِزَّةٌ هُوَ
أُنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ
مُجِيبٌ ۝ ﴾^(٣)

(١) الآية ٢٩ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٣ من سورة الجاثية.

(٣) الآية ٦١ من سورة هود.

الدعوة إلى الله

أي صالِبكم بعمارتها بالإباح و سِمة من زرع و تجارته وصناعة و ستخراج
ما حوته ، لأرض في باطنها وما احتوته البحار .

وإذا كانت دراسة الاقتصاد في عصره ، كعلم يطمح الثروة من حيث إنتاج
والاستبدال والموزع والاستسهلات و لصناعة ، على وجه يسد حاجة الأفراد
والجماعات ، فإن هذه الأهداف قد سبها القرن حيث حمد الدعوة إليها ، بل
والأمر بها في كثير من الآيات

من ذلك قول الله سبحانه وتعالى

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ دَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ
الْأُتُورُ ۚ ﴾ (١)

وقوله تعالى

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْشَرَوْا فِي الْأَرْضِ وَأَتَّبِعُوا مَن فَعَلَ اللَّهُ وَذَكُّوا اللَّهَ كَثِيراً
لَّعَلَّكُمْ تُفْحَحُونَ ۚ ﴾ (٢)

وهذه هي السنة الشريفة زاهرة بالدعوة إلى العمل والإنتاج

وفي مثل هذا قول رسول الله - ﷺ - «ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يذكر
من عمل يده، وإن سي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده» (٣) وقوله

(١) الآية ١٥ من سورة المائدة .

(٢) الآية ١٠ من سورة الجمعة

(٣) روه البخاري .

الاصصاد الإسلامي وأسسها في القرآن والسنة

«ما من مسلم يعرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»^(١)

ولقد تحدث القرآن عن البيع وعن التجارة كوسبتين لتبادل لإنتاج وللمنافع، نرى هذا واضحاً في قوله تعالى

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَرْبَوْا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الْآرْبَاءِ وَأَخْلَى اللَّهُ تَبَعًا وَحَرَّمَ
لِرَبِّهِمْ فَسَاءَ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ فَاسْتَهْزِئُوا بِهِمْ مَا سَلَفَ وَمَرْءٌ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ
عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)

وقوله تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْإِظْلَامِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٣)

ونبه القرآن إلى مواجهة الأزمات والكوارث بالادخار الفائض في الميسرة ووفرة الإنتاج، جاء ذلك جلياً فيم حكاية هـ عن صنع سيدنا يوسف - عليه السلام - حين نصح عزيز مصر بالادخار من سنوات اليسر إلى سنوات الجذب والقحط، على ما يشير إليه قوله تعالى

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٩ من سورة النساء.

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَعًى سَبِينَ دُنَا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرُوهُ فِي سُبُلِهِمْ إِلَّا قِبَلَ مِمَّا تَأْكُلُونَ ۝ ﴾^(١)

وحارب القرآن كذلك الإسراف و إلتلاف ودعا إلى لوسط فقال

﴿ وَلَا تَحْنَبْ يَدَكَ مَعْوَلَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَمْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَوْتًا مَحْشُورًا ۝ ﴾^(٢)

وقال

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَفْقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝ ﴾^(٣)

ولأن المال واستثمره أمر تقوم به حياة، به القرآن إلى صيانة الثروة وحفظها من الضياع والفساد وحذر من حبسها ووقعها عن النمو، مطالبا بالاعتدال في الأموال إلى الصبيان والسفهاء الذين لا يحسنون لتصرف، لنقرأ قول الله تعالى

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَزَرَقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ ﴾^(٤)

(١) الآية ٤٧ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٢٩ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ٦٧ من سورة الفرقان.

(٤) الآية ٥ من سورة النساء.

الاقتصاد الإسلامي وأسسِهِ فِي الْقِرَارِ وَالسَّيِّئَةِ

كما نهى القرآن عن أكل أموال اليتامى واستغلالهم ظلماً وعدوئاً، وتوعده على هذا العمل وحذر من الإقدام عليه، فقال تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۖ ﴾ (١)

ورعب الرسول - ﷺ - في الاتجار في أموال اليتامى وتنميتها حفظاً لها من النقصان وصيانة لها من الضياع، فقال: «تجروا في أموال اليتامى، لا تكلها الزكاة» (٢)

وقد حكى القرآن عن سيدنا داود - عليه السلام - فقال تعالى

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُخَفِّصَ كُمْ مِّنْ نَّاسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ۚ ﴾ (٣)

حيث علمه به سبحانه صناعة الدروع من الحديد لاستعمالها في الحروب فتقيهم بأسها.

ولقد دعا الإسلام إلى الاقتصاد والتوسط في الأمور كلها، وأشار لقرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ الْكَبِيرُ ۖ ﴾ (٤)

(١) الآية ١٠ من سورة النساء.

(٢) رواه لطريق - السراج المبرح - ص ٢٢.

(٣) الآية ٨٠ من سورة الأنبياء.

(٤) الآية ٢٢ من سورة فاطر.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْزِينَ وَالْإِحْسَانَ مَا نُزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ مِنْهُ أُمَمٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

كما أرشدت السنة النبوية إلى التوسط في الإنفاق في كل شؤون الحياة بحيث يكون سمة لسلوك الفرد من ذلك قوله - ﷺ - « ما عال من اقتصد » (٢)

ولأن الاقتصاد ضرورة من ضرورات الحياة وطبيعة المجتمعات، فقد اهتم لإسلام بدوره وتمسك بموسائله، بل إنه حيم نزل القرآن في مكة كاس لقريش تجارة في أسواق العرب عكط ومجنة وذو المجار، وكان المسلمون يباشرون نشاطهم التجاري في هذه الأسواق، ولما تخرجوا من ذلك نزل قوله تعالى

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَتَّعُوا فِئْلًا مِّنْ رِّبْحِكُمْ إِذَا افْتَضُمْتُمْ مِنْ عَرَفَتٍ
فَذَكِّرُوا اللَّهَ عِندَ أَمْشَعِرِ الْحَرَمِ وَذَكِّرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنتُمْ مِنْ
قَتْلِهِ، لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ (٣)

وهذا هو القرآن يحكي لنا في سورة «قريش» أسلوب لتبادل التجاري بين اليمن و الشام وكيف كانوا يتبادلون الصادرات والواردات، وهي رحلة قريش إلى اليمن شتاءً وإلى الشام صيفاً يبيعون فيها صادرات الحجاز، ويسنوردون منها ما ينتفع به أهل الحجاز ويكسبون ويربحون.

(١) الآية ٦٦ من سورة المائدة

(٢) رواه أحمد في مسنده، السراج لمير ج ٢ ص ٢٧٣.

(٣) الآية ١٩٨ من سورة البقرة.

الاقتصاد الإسلامي وأأسسه في القرار والسفة

ومع هذا، فإن الإسلام يغرس في نفوس المسلمين صفات الصق و لأمة و لصحة ومكارم لأحلاق التي تحكم معاممة المسلم وتمنعه من لدخول في مضايق الحيل أو لتعالي هي تعدير الأثمان والأجور أو بخسه. ومن هد كست الكلمة المشهورة «أدين المعملة» ربطا للتعامس بالإسلام.

وقوعد السياسة لأقتصادية في الإسلام ليست ثابتة، بل تتغير بما يعالج كل حالة ويصلح لكل مجتمع فنظام لعشور «أي لجمارل» قد قننه فقهاء المسلمين مقدراً بالعشر ومع ذلك، تحر هذه القواعد المعملة بالمثل، بل وتجير لأعفاء مه، كما إن كنب الدولة بحاجة إلى لوارد أو الإكثار منه، كالأطعمة والأبوية، وغير هذا مما قد تدعو الضرورة للتجاوز عنه.

ولقد تحدث علماء المسلمين في قواعد الاقتصاء، فهذا ابن خلدون يرى ألا تتجر الدولة، لأن اتجار رجال الحكم يؤدي إلى التغالي في الأسعار، كما واحهوا بالحل أهم لمشكلات الاقتصادية بتوزيع المسجات ومواجهة حاجات الافرد بتقديم الضرورات ثم الحاجيات ثم الكماليات على أن يأخذ الفرد من المعروض بقدر حاجته عند قلة الموحد، ولا تكون القوة الشرائية سبباً إلى أن يستأثر العني بما تتسع له قدراته ثم لا يجد ميره ما يهي حاجته، ولا بأس بالاستزادة إذا كن في المعروض سعة. فإد لم يكن وجب أن يتسوى الناس في أن يأخذ كل بقدر ضرورته أو حاجته أو هي التخي عن بعض الحاجات إذا نقص الموحد منها أو قل الإنتاج

روى مسلم أن رسول لله - ﷺ - قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه....»^(١)

(١) رواه البخاري ومسلم.

ومن استترى ما زاد على حاجته وغيره محتاج، فقد أسلمه للجوع والعري أو للمرض والحرمان.

ولقد فهم ابن حزم من هذا الحديث^(١) أنه يفرض على الأعياء في كل بلد أن يقوموا بحاجة فقرائهم العاجزين عن العمل أو الدين لا بحدون عملاً، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الركوات بهم، ولم يكن في بيت مال المسلمين فضل يكفيهم واستدل بما روي عن النبي ﷺ أنه قال «من كان عنده صعام اثنين فليذهب بثلاث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس، أو كما قال»^(٢). أم إذا ضعف التدين، وجعل الناس القدرة الشرئية هي الحكم في التوزيع، وحب على ولي الأمر أن يحقق العدل بين الناس بالأساليب التي يراها مواجهاة لما عساه الناس من أنانية لا ترعى حقوق الآخرين.

ومن ثم، ورد في الأثر (إن لله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرن) والحرية الاقتصادية، وإن كانت هي الأصل في الإسلام. لكن إذا تعسف الناس في استعمال حقوقهم، وجب على ولي الأمر أن يتدخل لردهم إلى حكم الله، وأوامره وبو هبه هذا ومن المقرر في الإسلام تحريم ركود المال واختزانه، وأصل هذا قول الله تعالى في سورة التوبة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهَنَانِ لِيَأْكُلُوا مِمَّا نُمَوِّنَ أَشْنَاسَ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّيْلِ يَكْبُرُونَ الْدَّهَبَ وَالْفِصَّةَ وَلَا يَفْقَهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٣)

(١) المحلى لابن حزم ج ٢ ص ١٥٧ مسألة ٧٢٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم، زاد المسلم ج ٢ ص ٢٤٤.

(٣) الآية ٣٤ من سورة التوبة

الاقتصاد الإسلامي وأأسسه في القرآن والسنة

وعير هذا من بصوص القرآن والسنة التي تدعو إلى مداومة استثمار المال وتشيطه سعبً إلى التقليل من أثقال العوز والحاجة بين المسلمين، وحتى لا تتجمد الثروات هي يد طائفة محدودة تتحكم بها في المجتمع، كما أرشد القرآن في قوله تعالى

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ الرَّسُولِ أَسْبِيلٌ كَيْ لَا يَكُونَ دُونَ بَيْنِ الْأَغْنِيَاءِ وَالْمَسْكِينِ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥١ ﴾^(١)

كما قرر الإسلام أن كل ما به قوام الجماعة الإسلامية، فتوفيره من فروص الكفاية، بحيث إذا تركه الجميع أثموا. ومن أجل هذا، كن على المسلمين أن يعملوا ويدعموا اقتصادهم بالزید من الصناعة والزراعة والعلوم المستحدثة لتنظيم اقتصاد إسلامي متكامل متكافل تنمو به موارد الأمة الإسلامية.

وبعد:

فإن على علماء الاقتصاد والمالية المسلمين أن يؤصلوا اقتصاداً إسلامياً يسر للناس معاملاتهم، ويفتح لهم طرق الاستثمار المشروع لأموالهم. فإن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهاة لا يعرفهن كثير من الناس.

(١) الآية ٧ من سورة الحشر.

الدعوة إلى الله

هدانا الله تعالى إلى قول الحق في دين الإسلام، وجنبنا الخطأ ولاثام،
وعصمنا من القول بغير علم ونقول كما علمنا في كتابه

﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ أَمْلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْْحِشْ بِالْقُرْآنِ مَنْ قَتَلَ أَوْ يُقْصَى إِيَّكَ وَحْيُهُ
وَقُلْ رَبِّ رَدِّنِي عِمْمَا ۖ ﴾^(١)

(١) الآية ١١٤ من سورة طه.

هموم المسلم المعاصر وملامح هذه الهموم من منظور إسلامي

أينما نظر المسلم بصرًا وبصيرةً في أرجاء لعالم الإسلامي على اتساع رقعة أوطانه، وتباين سكانه المسلمين في اللون واللغة والعادات والأعراف، يستبير له أنه بالرغم من هذا، التباير نجدهم حريصين على أسس الإسلام الخمسة - في الجملة - يسرعون إلى دأئها، كما يسرعون بها، وافتقدوا في عبادتهم هذه الأثمة والاطمئنان، فبعد عنهم الإخلاص لله في العبادة، وتكاثرت في سمائهم سحب الهموم والحيرة، سواء في واقعهم الاجتماعي، أو الواقع الاقتصادي، ومن قل ذلك ومعه ومن بعده الواقع اسياسي.

ذلك أن الواقع لسياسي للعالم الإسلامي منذ أن تحررت البلاد من الاستعمار العسكري الأجنبي وطنوا وهماً أو هماً - أنهم قد صاروا شيئاً مذكوراً - وخاصة الشعوب العربية - التي ظنت أنها تشكل ثقلًا دوليًا. بلغ البعض المتفئس منهم وأوحي إليهم من شيطين الإنس أنهم القوة السادسة الدولية بعد العمالقة هي هذا العصر الولايات المتحدة، وروسيا، والصين، واليابان، وأوروبا.

ولم يظن هؤلاء المنفائلون إلى أن لاستعمار العسكري لم يرحل إلا بعد أن زرع في رُض المسلمين من صاروا أشد على الشعوب الإسلامية ظلمًا وفتكًا، حيث كانت سياسة الدبل الاستعماري - وهم من حلدة المسلمين - شاعة التقاليد والثقافة الوافدة مع المستعمر، وبث التغريب، بكل مخازيه، قصدًا إلى الانحراف بالمسلمين عن عقيدة الإسلام وشريعته، والابتعاد بهم عن مئس الإسلام وقيمه وتقليده، ونجح هذا العمل الجديد في أن يزرع الخلافات حول الزعامة، ومن يكون

لزعيم^١ وروجوا بينهم صباغة ونجاسة الشعارات والانقلابات حتى تشاعل هذه الشعوب الجائعة، الساذجة المنبهرة، التي تبحث عن المثل الذي تحقق به وجودها، وتجعل أمرها بيدها، ثم لتستبدل بعقيدتها تلك الشعارات الفارغة من المضمون، ونجحت هذه السياسة ووقع الواقعة، وصار بأس المسلمين بينهم في ديارهم، وقلوبهم شتى، فاستقصت الأرض من تحت أرجلهم وانتظم العرض وانتشق الصف ولم تعد الوحدة إلا في صف الصلاة وفيها نحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى

ومن هنا تعمقت الخلافات، ووجهب المساعد بفساقت البعض في فتنة المال، والبعض في فتنة السلاح، الذي أغرى حملته إلى استعماله - سلاح إرهاب - في إثارة الفتنة وشاعة لخوف والاضطراب في صفوف الشعوب الإسلامية، وراحوا مع هذا يبتون بذور الفتن، والشك في الثقافة ليشغل الناس بما فتنوا به عن النشاط المثمر، وتعمقت الخلافات الفرعية والمذهبية، وكانت الجماعات والجمعيات المتخالفة والمتخاذلة.

ولم يكن لواقع لاحتماي للمسلمين بتوفر حظاً من الواقع السياسي، بل سرت إليه هذه الأدواء، حتى انخلع الفرد المسلم من مثل الإسلام وقيمه، فانفرط عقد الأسرة، وانفكت الزمام من يد القيم عليها، ولم يعد ذلك لتواصل والتراحم والتعاون، الذي غرسه الإسلام، خصوصاً أمرة في كتب الله وسنة رسول الله ﷺ. واستبدلت به أنانية بغيضة وأنظمة غريبة عريضة، وسادت مظاهر التظالم بدلاً من الباصر، وانفطع والتدابير بدلاً من التعاون على البر والتقوى والإخلاص، وشاعت الفواحش ما ظهر منها وما باطن.

وكانت الثالثة الواقع الاقتصادي، حيث غلب النظام الاشتراكي في أغلب دول العالم الإسلامي مع أن للمسلمين في الغناء والكفاء بالقواعد الاقتصادية،

هموم المسلم المعاصر

و لصو بط، والمعاصر لي بحبي الأمل، وتفتح المجال إلى العمل المثمر، و لكسب الحلال في الزراعة والصناعة، والتجارة.

هموم تقال تر كمت آثاره، وتر حمت عى محتتمعات المسلمين حتى شعت الوهر في الأجساد و لعرائم وليس لاكتشاف هذه الهموم، وإراحة تلك العيوم التي أظلت سم، المسلمين و ضلعت إلا أن يعود المسلمون إلى التماس الهدى و لهداية من مصدري لإسلام كتب به سنة الرسول محمد ﷺ فالنظام الأمثل في الاقتصاد هو ما شرعه الإسلام وسط بين البطامين المنافسين في لعالم المعاصر لرأسمالية، والاشتراكية.

ولو أن المسلمين ستثمروا مواردهم لزراعية و لصناعية، واليد، العملة لتوفرة مع توفر رؤوس الأموال لدى الشعوب المسلمة التي تفحرت به أرضها، وانفجرت عن مخبوء ررق به لو أن ذلك كان لكائب الأمة الإسلامية أحسن حالاً وأيسر ملاً، ولكنها بعدت عن سبة به و شرعه، فكان هذا الضيق والغلاء والبلاء والنصالة ولو أن المسلمين صدقوا به فاستفاموا على الطريق، وأخذوا بالأسباب لرفهم به كما يرزق الطير بعدو باحثه عن ررقها، وتروح وفد امتلأت من شبعها، ولو أنهم أقاموا أسس الإسلام، والرموا بأخلاقه، لابت راحت عنهم تلك الهموم

فهما يستعيد شخصية المسلم والمسلمة المستزمين بالإسلام عقيدة وشرعية، المتعاونين على البر والتقوى الساعين إلى طيب الرزق الحلال، المتباعدين عن الحرام بكل صوره

حقوق الإنسان والمنظور الإسلامي

يتردد في تعبيرات رجال الفقه القانوني أن حقوق الإنسان والحريات العامة لا تدخل ضمن لحقوق بل هي المصطلح عليه لدى رجال القانون، إذ تفتقد العناصر الجوهرية للحق، وتختلف في طبيعتها عنه

ذلك أن الحق بمعناه في الفقه القانوني كل حق يقابله واجب، وهذا المعنى غير متوفر في حقوق الإنسان، ولا في الحريات العامة.

فقد درج علماء لفانون اوصعي في تعريفاتهم التي وصعوها للحق على تحديد عناصر لا يحقق هي طائفة من حقوق لإنسان، فقد عرف بعضهم الحق (به تلك الرابطة القانونية التي بمقتضاها يخول القانون شخصاً ما السلطة على شيء، و اقتضاء أراء معين من شخص آخر) وفي تعريف آخر (إن الحق قدرة، أو سلطة إدارية يخولها القانون شخصاً معيناً ويرسم حدوده)، وفي رأي ثالث بأن الحق (مصلحة يحميها القانون)

وماقش فقهاء، لقانون هذه التعريف، وتحدثوا في أمر (لحقوق لشخصية) - حقوق واردة على مقومات الشخصية - وعناصرها في علاقات الأفراد بعضهم ببعض، ون لهدف منها حماية الشخص من اعتداء الأشخاص الآخرين، وأن بعض الحقوق الشخصية مثل حرية الاعتقاد، وحرية الاجتماع، وحرية التعاقد، تفتقد مقومات الحقوق بالمعنى الدقيق لأنها تثبت لئس كفه، دون اختصاص بعضهم بها على سبيل الاستثمار، ومن هنا يكون سميها حقوقاً من باب التجاوز في التعبير.

وحقوق الإنسان اصطلاح يقارب مع اصطلاح الحقوق الشخصية، حيث يشتركان في معنى حماية الشخصية الإنسانية في مفهوماتها وعناصرها الأساسية، بمعنى أن اصطلاح حقوق الإنسان يقصد به أساس الإشارة إلى ما ينبغي الاعتراف به للأفراد من حقوق تقتضيها طبيعة الإنسان كحد أدنى، وبفرصها حرصاً لازماً صمد لحرية الأفراد من تحكم لدول مستبدة.

وبهذا يصبح بحلاء أن إصفااء صفة الحقوق في اصطلاح حقوق الإنسان من باب النحاور من هذا التوسع في التعبير منطلق أو مدلول الدراسات القانونية في منطق الدراسات الإسلامية في حقوق الإنسان؟ يمكن أن يستقر تلك الحقوق من أوامر الدين الإسلامي وبواهي وتوجيهاته، إذ الملحوظ منها أنها تتضمن التراحم أو واحبات على طرف، يكون في ضميتها مصالح وحقوق لطرف آخر.

فالأمر بداء الأمانات إلى أهلها أوجب حفا لأصحاب الأمانات أن تؤدي إليهم ما عندهم، والنهي عن بحس الناس أشبه بهم بضمير تقرير الحق الأحرص أن يحفظ عليهم أشبؤهم، و لهي عن فسر إنسان بغير نفس أو فساد في الأرض بضمير بدلالاته حفا لكل نفس أن يحافظ عنيها وألا بسفت دمها في عرق قصاص، والأمر بالإحسان إلى كل من الوالدين ونوي القربى و لئامى والمساكين و بحار ذى القربى و لجار بالحب والصاحب بالحب واس السبيل، يؤكد أن لكل من هذه الأصناف حقوقاً يحص لدين على لوفاء بها، وينهى عن لتفريط فيها.

والتوجيه إلى أن الدرس لصيحه تقرير إلى وجود حقوق له ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، يلزم المسم الفقام بها، وتقدير مسؤوليه كرر ع عن رعيته تشير إلى أن لعلافة دين الحاكم و لحكومين بجعر على لحكم واجب أن يعدل،

حقوق الإنسان والمطور الإسلامي

وأن يسوس أمور المحكومين سياسة شرعية، وتوجب حفا للحاكم على المحكومين أن يطيعوه ما أطاع الله ورسوله، وحقاً على الرعية أن ترعى مصالحها وفي مبدأ عدم الإكراه في الدين، تفرير حق كل فرد في عقيدته، وواجب الدولة والمجتمع في عدم التدخل في تلك الحرية إلا فيما يساء استعمالها، أو يخاف منها على سلامة المجتمع الإسلامي وأمنه وقوة بنيانه.

وأول من نه من علماء المسلمين على قيام لعلاقات بين الناس على أساس ربطة من الحقوق والواجبات الإمام العزلي في كتابه «إحياء علوم الدين» ونشير كتابات الغزالي وغيره إلى أن معنى الحق هو (المصلحة أو الرخصة أو الصمان الذي ينبغي أن يوه لصاحبه، و يحق له أن يطالب به وأن يدفع عنه). ويظهر مما ضربنا من أمثل أن فكرة تكريم الإنسان

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَمَلْنَاهُمْ فِي آلَرِ وَالْخَرِ وَزَوَّجْنَاهُمْ مِنْ أَطْنَبَتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١)

وهي القاعدة التي أقيمت عيها حقوق لإنسان في هذا العصر - هذه الفكرة - أساسية في الشريعة الإسلامية ودراساتها، وأن المصالح والمنافع و لرخص والمدحت لي تضمنتها نصوص الشريعة لصالح لفرد والمجتمع ووجهت إلى رعايتها وحميتها، يسوغ أن نسمى بتعبيرات العصر - حقوقاً للإنسان - في لغة العرب.

وهي، لمصطلحات الشرعية استعمالات ودلالات يستقيم معها إطلاق اسم الحقوق على مختلف أنواع المصالح والمنافع، التي وجه إليها الدين في عقيدته

(١) آلة ٧٠ من سورة الإسراء.

الدعوة إلى الله

وشريعته لصالح الإنسان، سواء أكان فرداً أم جماعةً، لاسيما في مبادئ الحرية
والمساواة والعدل والشورى والأمن والتعاون على البر والتقوى. يكفي عنواناً
لحقوق الإنسان في الدراسات الإسلامية قول به سبحانه وتعالى

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَمَسْنَاهُمْ فِي كُنُوزٍ وَلِبَاسٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ أَنْشَأَتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (١)

(١) الآية ٧٠ من سورة الإسراء.

تعالوا إلى كلمة سواء

الجدل حول تطبيق الشريعة

أثار موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية حوراً ارتفع صوته، وعلا صراحه، حتى جاز أن يسميه جديلاً، خرج عن الحادة، وانحرف عن الهدف، فصار قصبه ساحنة مثيرة، تنصارع حولها، الأقلام، ونحري بها أنهر الصحف، وبرز في هذه لحولة حول الشريعة - ولا أقول عليها - من اخترعوا ألقاباً ومسميات دخلوا بها على الناس حتى يصيحوا السمع لما يقولون أو ليقرعوا ما يكتبون، فهد كاتب إسلامي، وذلك مفكر إسلامي، مسوغات ورخص اخترعوها لأنفسهم، حتى يبيعوا ما يخترعون من فكر وأوهام باسم الإسلام، إحياء للجدل حول العلمانية والإسلام، وهل الإسلام دس ودولة أو أنه دس فرص العبادة لله ولا شأن له بحياة عبده، على هذه الأرض، وخلط وبعُد عن استيعاب أصول الإسلام وفروعه ومقاصده، ودوامات من الفكر ينوء فيها الحكماء والعلماء، فما نالنا بهذا الجير الذي انتبه بعد رقد إلى العودة إلى الذات، ذات المسلمين وسميتهم وليس إلا الإسلام سمة لهم، الإسلام في عدله، الإسلام في حرصه على العلم والتعليم، الإسلام في حرصه على التراط و لنكافل الاجتماعي، الإسلام في تربيته للفرد وللجماعة وللأمة، الإسلام في حرصه على السلام لاحتتماعي و لألفة بين صوائف الشعوب والأمة، فلا بفرقة بسبب اللون أو الفقر أو الغنى، ولا صطهد بسبب الدين والإسلام الذي حرم لعش في العقود وحمى من لا يحسن التعاقد، الإسلام الذي حث على عمارة لأرض وإشاعة أحياء والأمن والأمان، والإسلام، الذي جاء بفروض محددة لا تقبل الاجتهاد في صلة الإنسان المسلم بالله، كما بين الحلال والحرام في التعامل في الحياة الاجتماعية بين بني الإنسان

« وَمِنْكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا دُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ عَلَيْهِ وَبِئْسَ كَثِيرٌ لِيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَيْدَ هُوَ غَنَمُ الْمُتَعَدِّينَ » (١)

لأنه قد بكثرت مما أحل، وفال

« وَأَتَمَخَصَّتْ مِنْ أَنْبَاءِ إِلَّا مَا مَنَعَتْ يُمْنَعُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَتَنَعُوا بِأَمْوَالِكُمْ تُخَصِّصُ عَنْهُ مُسْفَحِينَ فَمَا أَسْتَمْتَعُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاتُوهُنَّ أَحْوَرَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا حُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاصَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا » (٢)

الإسلام أسماحة والتسامح، الإسلام بضفة المطهر والمخير

هذا الجدال لحاجة وعظمة

هل الإسلام - وهو كما جاء في لقرآن الكريم وهي سنة رسول الله - ﷺ - يختلف كل هذا الاختلاف حوله ونتجادل، لا يفصد لفهم، وإنما في لججه وعظمة، ونمصر الإسلام وشريعته و بلا من لسخط، وكثيرا من النقد، دون أن سنوعب هذه الشريعة، بل حتى دون أن نفقه ما قرأنا.

(١) الآية ١١٩ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٢٤ من سورة النساء.

بَعَالُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ

وَيَرْبِّئُهُمْ لِهَرِفًا يُبَوِّنُ أَلَيْسَ لَهُمْ بِالْكُفِّ لَتَحْسُوهُ مِنَ الْكُتُبِ وَمَا هُوَ
مِنَ الْكُفِّ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
تَكْذِبَ وَهُمْ يَعْمُونَ ﴿١﴾

صرف القضية إلى تحريف متعمد لقبم الإسلام

هذا لحدل بصراح لدي، بعزل عن الطريق الحق عندما نحا بالقضية
قصة تطيق لشريعة لإسلامة إلى سبل من لصد عن سبيل الله، وعن
لاستقامة إلى تحريف متعمد لمفاهيم والقيم الإسلامية، حتى لقد بلغ بعض
الكتاب أو المتحاورين المتحاورين أن قال إن حدود الإسلام وأحكامه شرعنا لتعقد
لإسلام، وقد نحاوره الحياه الحاصره بمعصلاتها وحصارها

ولقد شنح الكسور فيما إن كان يطبق اشريعة فوراً وبالمسرات
والمظهرب أو أنه ينبغي أن نعم في تربيت وعى مهل وسور علف وما كان الإسلام
المظاهرت و مسيرت، وما كان يصيبو شريعة لإسلام بالشعارات التي تصوق على
لمركبت، وما كانت أحكام لإسلام موفوتة بعصر النبوة والخلفاء الرشدين -
رصوان به عليهم - وإنما هو الإسلام عقيدة وشريعة، ودين ودنيا لكل العصور، ف
بقي لمسلمون فائتين له، حافظين لحرمان الله، يتلون كتابه ويعمرون به.

حين بدأ محسن الشعب في دور سابق بحث «تنقية» القوانين القائمة لرفع ما
يكون منها مخالفاً للشريعة، وحين صرف أعضاؤه والمتعاونون معهم من العلماء -
عماء للشريعة والفانور - لوقت والهد، وأنفقت لأموال هي هذا الصد، لم يكن

(١) الآية ٧٨ من سورة آل عمران.

ذلك مُظَاهَرَةً أَوْ مَسِيرَةً وَإِمَامٌ كُنَ عَمَلًا جَادًّا ، سَهَى إِلَى نَبْحِ طَبِّهِ ، أَرَبَصَهُ
الْمُخْلِصُونَ لِهَذَا لَشُعْبِ الْحَرِيصُونَ عَلَى اسْتِقْلَالِهِ وَدَائِهِ وَعَلَى مُسْتَقْبَلِهِ كِرَائِدٌ وَقَدْ
لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ ، فَإِذَا تَأَخَّرَ الْإِحْرَاءُ لِدُسْتُورِيٍّ أَوْ نَبَاطٍ ، فَإِنْ ذَلِكَ
عَسَى أَيْ حَالٍ مَسْئُومِيَّةٍ مَجْسِسِ الشُّعْبِ حِينَ يَعُودُ إِلَيْهِ عَاحِلًا أَوْ حَلًا ، وَلَا تَكُونُ
الْمَسْأَلَةُ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الْمُعْجِبَةِ الَّتِي قَدْ تُوْدِي بِسَمْعَةِ الْبِلَادِ وَاسْتِقْرَارِهِ وَأَمْنِهِ ، وَلَا
يَكُونُ لَرَدِّ عَلَى الْمَطْلُوبَةِ لِعُورِيَّةٍ لِنَظْمِ الشَّرِيعَةِ بِهَذِهِ الْمَقَالَتِ وَذَلِكَ لِجِدِّ الْأَشْيَةِ
بِالصَّرَاحِ ، وَنَعْتَ الشَّرِيعَةِ بِعَدَمِ الصَّلَاحِيَّةِ لِلنَّظْمِ ، وَفَقَهُ فَقَهَائِهَا بِأَنَّهُ صَارَ رُتًّا
بَالِيًا ، لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا يَصْلُحُ لِهَذَا الزَّمَانِ وَلِحُكْمِ هَذِهِ الْحَضَارَةِ

إِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَلَبَ أَصْوَاتُهُمْ وَأَرْفَعَ صَرِيرَ قَلَامِهِمْ قَدْ سَاوَوْا إِلَى مَا
يَطْلُبُونَهُ حِينَ يَمْسُونَ مَشَاعِرَ فِي قُدْسٍ مَا يَهْمُهُمْ ، وَأَهَاجُوا كَوْمًا مِنْ نَفْسِهِمْ ، حِينَ
بَصَلَقَ هَؤُلَاءِ لِقَوْلٍ عَلَى عَوَاهِنِهِ لَا يَرْعُونَ فِي اللَّهِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ، وَلَا لِدَوْلَانِ وَالْمُوَاطِنِينَ
حَرَمَةً وَلَا كِرَامَةً

جراحات السنان لها التئام ولا يلتأم ما جرح اللسان

نَعَمْ تَعَالَوْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ جَعَلُوا حَدِيثَكُمْ إِلَى هَذَا الشُّعْبِ ، وَمَنْ وَرَائِهِ الْأُمَّةُ
الْعَرَبِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ فِي حَتْمَةِ النَّظْمِ لِلشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هَوْرًا ، وَرَأْسٌ لِأَمْرِ يَحْتَاجُ
إِلَى تَرْيِثٍ ، وَضَحُوا فِي أَقْوَالِكُمُ السَّرِيرِ لَمَّا تَقُولُونَ سَوْنٌ أَنْ تَطْعَنُوا الشَّرِيعَةَ ذَاتَهَا ،
وَتَسِيئُوا إِلَى السَّلَفِ الصَّالِحِ ، الَّذِينَ بَذَلُوا فِي سَبِيلِ التَّأْصِيلِ وَالتَّفْرِيعِ جَهْدًا
يَذْكُرُ وَيَشْكُرُ وَيَحْنُدِي ، وَقَدْ تَكُونُ تِلْكَ الصَّعُورُ الَّتِي سَالَتْ بِهَا أَنْهَرُ الصَّحُفِ
وَالْمَجَلَّاتِ ، مِمَّا ثَارَتْ هَذِهِ الْقِصْبَةُ ، عَنْ سُوءِ قَصْدٍ ، كَمَا قَدْ نَكُونُ عَنْ قِصُورٍ فِي
الْفَهْمِ وَالتَّحْصِيلِ ، وَكَلَا الْأُمْرَيْنِ مَعْبَبٍ ، وَقَدْ قِيلَ قَدِيمًا الْبَاسُ أَعْدَاءُ لِمَا جُهِدُوا

نعالوا إلى كلمة سواء

قولوا للناس لا تريد الرب، ولكن تريد فس أن نقرر إلغاء النعام بالرب
بحديثه في المعاملات لجاريه، ويجاء البديل له، حتى لا تضرب أمورنا
الاقتصادية المتشابكة مع غيرت وأن يكون جادين في القول ارشيد
قولوا للناس إن من تطبيقات الشريعة استقامة السبيل، وأن المسؤول عن
هذا كره في الأمة قبل الدولة «كلكم ر ع وكلكم مسئول عن رعيته الرحر هي
سبه راع، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة هي بيت زوجها ر عبة، ومسؤولة عن
رعيته.

وفي القول المتثور «ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

هل قدم كل رب أسرة وكل ربة أسرة بذلت أم تريدون سلطة الدولة لسيير
أمر الأسرة في المنزل بين أفرادها التي جع الله المؤدة والرحمة هي الصلة التي
تربط بينهم.

قولوا للنفس قاومو الانحراف والسرقات، وأدو الأعمال بمانة وهمة، حتى
تتوقف الرشوة والفساد

« صَهِرْ أَفْسَادُ فِي كَلْبٍ وَكَلْبٌ مَا كَسَبَ أَيْدِي أَسَاسٍ يُدِيقُهُمْ نَعَصُ أَلْدَى

عَمَلُوا لَعَنَهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ ﴿١١﴾

نعم على الدولة واحب الحكم والردع لمن يجدي معه النصيح والإرشاد، ولا
صلاح لهذه الأمة إلا بم صلح به أولها، كتاب سه وسبه رسوله - ﷺ - و الأمة
جميعاً حكماً ومحكومين مطالبون بذلك كره في حدود مسؤوليته

(١) الآية ٤١ من سورة الروم.

تعالوا إلى كلمة سواء، يا وسائل لإعلام واخص اصحف والمجلات هه راعنم حق الله والوطن والمواطنين، حين يتشرون هذه حملة الصلح على السريعة وتطبيقها، ويتأخرون سوء لتصديق، أو انحرافه في بعض البلاد مثلاً على عدم صلاحيتها فدهنهم بحرفون لكم عن مواضعه، بعلم او غير علم، وغيب عنكم أن هه الشعب المتدين - المسلمين و المسبحين لا يرصى منكم ولا لكم هه، بل إنه يسؤه أن تهوي لمعول لهدم قيمه وشريعته، بل ووحدته التي علت في كل لأزمات والملمات.

يجب إيقاف الحملات على الشريعة

لقد عاش هه الشعب حيا من لدهر أكثر من عشرة قرون في ظل الاسلام وشريعته عبثة راضيه، مستقرة، مستنيرة، كل يعرف حقه، وما عنه من واجبات. فعبدو إلى هه الشعب هدوءه لنفسه، وأوقفوا هذه الحملات على اشريعته الإسلامية وتصديقها، ووجهوا النصح في أده وروية وموضوعية، لن ترويههم قد اسهخوا طريق غير مشروع لمصالية بالتصديق لإسلامي، دون أن يملؤوا الصحف بهذه الأنهر من التحدي على الإسلام وشريعته، وتوهيتها أو توقف صلاحيتها، فإن الدريخ سبحكم عنكم، والأثر العجل لما يقولون إنكم نضلون هه الجيل الذي لم يدرس ولم يتعلم من الإسلام إلا القليل.

نعم.

تعالوا إلى كلمة سواء، فقد هلع المثقفون على مستويات عالية من هه حملة صد تطبيق الشريعة، وحصرت إلى شيخ لأرهر وقود من أساندة لجمعيات، ورحال التعيم ووردت تعليقات، وبعفبات حزعة مم يكس، وتقلبه عا وسائل الإعلام في بلاد العرب و المسلمين، التي نحن منها بمنزلة القس، وانخذتها بلاد أخرى وقودا لما تهدف من فتن.

معالوا إلى كلمه سواء

نقترح على نقابة الصحفيين أن تبحث التصدي لهذه الظاهرة، ظاهر التعدي على شرع الله، والجرأة على الله ممن يقولون هي لإسلام بغير علم، أو عن هوى مضل، فقد نشرت كلمات أقل ما توصف به أنها غير مسؤولة

إن حرية الكلمة مكفولة بشرط ألا يضر القيم الأساسية لإسلام ولمجتمع إسلامي، وهل من حرية الكلمة أن نسخر من نبينا وسيدتنا اللزمات، وأن نعريهن بالحروج عما الرمنه بدعوى أن لفظ الحجاب لم يرد في القرآن

أو أنهن بما لجان إلى هذا الالتزام لفقرهن أو عرهن عن مسابقة لتطور لحصارى، وكأن الحصاره ليس إلا هي عري النساء وببذلهن.

فسرح على نقابة الصحفيين أن نشر الصحف بحوث وتعالج موضوعه لانحراف عن الإسلام، وتُنصر المسلمين رجالاً ونساءً بحقائق الإسلام، وأباطيل خصومه، تقويماً للسلوك، ونباتاً للشريعة لم يعتد عنهم أحكامها وبصرف همهم لها

إن الصحف والمجلات أصبحت مصدراً مهماً لانتشيف والمعرفة، فافتحوا صحفكم لما بصح، وزيدوا رفعة الثقافة الإسلامية مرات ومرات في الأسبوع، لا في يوم الجمعة فقط.

صدق الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

﴿ وَقُولُوا لِبَاسٍ حَسَنٍ ﴾^(١)

﴿ وَهْدُوا إِلَى لَصَبٍ مِّنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمْدِ ﴾^(٢)

﴿ وَمِنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمَرَ صِلْحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٣)

(١) من الآية ٨٢ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٤ من سورة الحج.

(٣) الآية ٢٣ من سورة فصلت.

الأقليات الإسلامية

**وكيف يمكن دعمها؟ وحل مشكلاتها من جانب العالم
الإسلامي لتؤدي دورها في خدمة الإسلام وخدمة
المجتمعات التي تعيش فيها؛
معنى أقليات وواقعها؛
ماذا تعني عبارة الأقليات؟**

قد شوعت أقوال الباحثين في تحديد المقصود بالأقليات، ولكنهم جميعاً لا
تعدوا القول: بأن الأقليات تعني مجموعات من الناس - كثرت أو قلت - تعيش وسط
مجموعة، أو مجموعات أخرى نفوقها عدداً، وتتغابر معها، فكرياً، أو دينياً أو
عصراً، وهي مع قسبتها أو بسببها تعيش وسط الكثرة الأخرى في ظروف من
الاضطهاد والامتهن في أغلب الأحيان، وينهاوت هذه الحالة من لعدم من
مجتمع لآخر.

ووقع الأقليات المسلمة في العالم - أو أكثرها - تعيش في هذه الظروف
المؤسفة المهيبة، تبعاً لما يعاينها العالم الإسلامي من الضعف والفرقة، مع لئاحر
والاقتل، وتدعي الأمم الأخرى على المسلمين، وكبدها الدائم و لئائب ومكرها
ورغبة في المزيد من تفريق صف المسلمين وتمزقهم.

وهي صرخات هذه الأقليات المسلمة، المسحوقة تتعالى من هنا وهناك،
تنادي الكثرة الكثرية من الأمة الإسلامية، لعل وعسى أن تسمع صداها أذان لم
يسعل بهذه الترهات، التي ألهمت المسلمين عما وقع بهم من أساء وضراء، حتى
صاروا أصحوة بين العالمين

الدعوة إلى الله

حتى أولت لفر من لسمير، لدين اسبحانوا لصرخاب الاقليات المسلمة،
فهوا للعمرفي ميدان المساعدة والإعاثة، وشكلوا هيئت ومؤسسات ولجان،
وبدلت كل جهة جهدا في هذا الميدان، كانت تسيح جهودها محدودة لمعوقات كثيرة،
ومن أهمها، هتقاد التنسيق فيما بينها، وانعكس حاصر العالم الإسلامي من
لعرفة والشتاب، وافنقد القيادة لموحده - انعكس هذا على تلك الجهات التي تعم
في ميدان الإعانة، كما تعمق مع هذا لتنظيم البقيق، فلم سخلص من الأرئجال
والنعدبة والادبية، وافنقدت الحطيط الفائم على المعرفة انامة والشاملة بأوصاع
لاقليات المسلمة وبصروف الأحوال احيطه بكل منها والنعيرت الموقعة

ومن هت كر - حتماً - ان بدرس أحول وواقع تلك الأقليات دراسة تكشف
أوصاع كر منها للعرف على مشكلاتها والنحديت التي نواجهها، وطرق التغلب
عليها، وفق أولويات فعالة، وتحدد الزمن لمسب لهذه الأولويات.

مرة أخرى، أقول دراسة الواقع المعاصر والمتغيرات الطارئة عليه، حتى
بتواك لمشاريع لني توجه إلى هذه الأقليات التي تحلف حنما ظروفها.

وهذه الدراسة متى تمت ينبغي أن توضع بين أيدي لعاملين في الميدان من
الشخصيات، والجمعيات والهيئات لتنسق فيما بينها وسائل العمل، وصولاً إلى
تصفر الجهود، وتوزيع المهام ونصوب النحوزات والأخط،، طبا لتحقيق العدة
والأهداف ومن الخطأ أن ينظر إلى تلك الأقليات أو يتم التعامل معها من خلال
الأفواه الحائعة، والبطور الخوبة فحسباً وإما على هذه الهيئات أن نوحده في
تلك الاقليات علاحد، وتجاوز ما أرزته الدراسة من قصور، وتفاعس وسترخاء عن
مواجهة ما انبها من ضعف وبمروق، وفقصور عن تنمية نفسها في التعلم
والافتصاء، ووحدة لصف والهدف، ولتعاون على البر ولفوى، وتنمية الوارع

الديني بين لأفراد والجماعات في تلك الأقليات، حتى يكون حافزاً إلى العمل المثمر المنتج.

ومن هنا، وجب أن تسعى هذه المؤسسة إلى تأسيس نظام ملائم لدعوة الإسلامية من نبت الأقليات وعلى أرضها بعدما عن الفلسفات المشككة، وعن الخلافات المعقدة، و لعمل كذلك على إنشاء المعاهد والمدارس و لعمل على تحسين تعليم العلوم الشرعية والعربية، مع العلوم المستحدثة والصناعات المعينة على كسب العيش، وإنشاء المدارس وترميم القوم منها وكذلك المساجد، وتكوين كوادر لمعلمين والدعاة، وإنشاء دور الصبغة وهنئب سرحمة ومناهج موحدة، أو مقارنة للتعليم في المرحل كفه، وقرهه للجامعات العربية و لإسلاميه من كل اقلية من الأقليات أو نجمع منها، مع نث روح النعاون مع السننات المحلية، وسنر الثقافة الإسلامية بالوسائل المستحدثة سواء النفاقة العامة أو المدرسية بالمسجلات، والمصورات، وببذل الريارات مع المثقفين من أكر هذه الأقليات، والمصوغات، والبوريات كالمجلات، والصحف، وامنداد النشاط لتجاري و لاقتصادي، وإنشاء المراكز البفقية العربية الإسلامية، وتبادل الاستثمر بإنشاء المؤسسات التي تتولى الاستثمار الإسلامي لذي تلك الأقليات، والأوصاع المناسبة بكل منها مع النواصل المساحي، و لإعلامي و لاقتصادي والسياسي، كل ذلك بالفتوات لمشروعة لمعروفة بولب وبهذا نسمح هذه لأقليات ونسمى إلى محتمع الكثرة الإسلامية لتبى بطرق عليها دار الإسلام

العبادة والعمل

قل الله - سبحانه وتعالى -

﴿ وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَاسْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَانْتَعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

بهذا القول الفصير من الله - سبحانه - كان اقتران العبادة والعمل، فليس لأحد من المسمعين أن يجافي بهما، أو أن يحيف على واحد منهما، فكل محاله ووقته، وما طلب لله من أحد الانقطاع للعبادة، ولتحلى عن العمل الذي يكسب منه قوته، وتزهر به حياته، بل حياة الناس جميعاً، من بيع وشرء، وأخذ وعطاء، وحرث وصناعة وبناء، فالإسلام دين سعي وكسب، يجمع بين مصالح الدنيا والآخرة، يمدح المؤمن القوي، والعني النقي وبزكي المؤمن المحترف، ويكره الخالي من العمل، ويقول - ﷺ - «لأن تذر ورثتك أغنياء خير وأحب إلى الله من أن نتركهم فقراء» (٢)، ولقد استأذن بعض أصحاب رسول الله - ﷺ - أن يبيعوا عقارهم وأموالهم، ويشتررو بها سلاحاً وخيلاً يجاهدون عليها في سبيل الله، فنهاهم عن ذلك، وقال: «أمسكوا عليكم أموالكم ولا تهسدوها» (٣)، واستأذنه أحدهم في أن يتصدق بكل ماله فنهاه عن ذلك، واستأذن آخر في اعتزال الدنيا، والتفرغ لعبادة منهاه، وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص «ألم أخبر بئذ تقوم الليل ونصوم

(١) الآية ١٠ من سورة الجمعة

(٢) رواه الجماعة، بيل الأوطار ج ١ ص ٢٧.

(٣) رواه أحمد في مسنده عن حبر، ومسلم و بن حبان، جامع لأحدث البيهقي.

للدعوة إلى الله

«للهار» قُتِ بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل في نفسك عليك حقاً، ولروجت عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه»^(١)

قد جاء بعض لصوص السرعة داعية إلى الفرع لعبادة الله، فإن هدفها العبادة التي فرضها الله بالإحلاص في أدائها، والمحافظة عليها، فمتى دخل وقت لصلاة المفروضة كان حتم أن يبار إلى أدائها بشروطها، وركناتها وسببها، وأن يترك - من أجبها - كل ما يشعل عنها.

وإذا حضرت فريضة الركاة، وحب المدرة إلى إخراجها إلى مسبقها، وبذلك ترخص الدنيا عند حضور واجب فرضه الله، فإنه ما استجلبت نعم الله، وما استدعت نعمه، بمثل المحافظة على صاعته، والإحلاص في أدائه فرائضه.

فالعمل الصالح هو همه النفي، ولا نصره مع ذلك أن تشعل جوارحه بالعمل والكسب، لأن الدنيا مدع يتمتع بها المؤمن إلى ما هو خير منها، يزرع فيها ليحصد لثمره رصوات من الله، ورحمة وهديا، يعمل في دنياه عملاً لا يضر بآخرته، ويعمل لآخرته بما لا يضر بدنياه.

ومن ثم كان على المؤمن أن يجد في لعمل للدنيا وللآخرة، بل إن العمل الذي طاهره للدنيا، مع البية لطيفة، وهو عمل يثاب عليه من الله، فما ررع زارع زرعاً فأكل منه إنسان أو حيوان إلا كان له به صدقة، وإن سعي الرجل لنصف نفسه عن لمسألة صدقة، وإن سعيه على ررق زوجه وأولاده في سبيل الله نوع من أنواع الجهاد، كما جاء في أحاديث رسول الله ﷺ.

فاعمل بها المسموؤاً حواسه، إن فعلت تكن قد جمعت الحسنيين، ولا تلتفت إلى أولب الدين يفسدون حياتهم بالإعراض عن ذكر الله وعبادته، كفرأ

(١) حديث منفق عليه في رياض الصالحين لسوي

العبادة والعمل

سعمته وكرهاً لفصله، أو بضغون نبتهم بالانغراس عن العمل المباح، و كسب الحلال، ويفعدون عن طلب الرزق، وقد علموا أن السماء لا تمصر ذهباً ولا فصله ون من الذي دعانا إلى صاعته بعبادته بما اقترصه علينا من فرائض، وما حده لما من حدود، هو الذي أمرنا بعمارة هذه الحياة، والسعي في الأرض، والعمل بكسب الرزق، وأوجب أن نوائم بين العبادة والعمل، وأن نحمل العمل ذاته عبادة بالإخلاص و لإحسان، هيؤد الذي أوثمن أمانه وليتق به ربه.

فلنحذر عليه أن يكون أمياً صدوقاً، لا يعس في كيل، أو سلعة، أو يعدي في لربح فبشوق على لدس، و لصنع عيه أن يجود في صنعه، فإن به حب إد عمل العمل عملاً أن بهفه، وبذلك يؤدي كل دوره، فبردهر حساه لدس، وتثمر عبثة راصبة مرضية، يسودها العدل والرحمة والمودة

« الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الْأَتْقَاءُ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ » (١)

(١) الآية ١٨ من سورة الزمر.

رعاية الإسلام للمصلحة وتيسيره على الناس

روى أصحاب السنن عن النبي - ﷺ - أنه قال: «يسرُوا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»^(١).

إن الإسلام راعي مصلحة الناس في أحكامه، فلا تخلوا فريضة من فرائضه أو واجب من واجبه التي أمر بها - ﷺ - في القرآن، أو على لسان رسول - ﷺ - إلا ووراء ذلك من المصالح للناس ما لا يدخل تحت الحصر.

وإيضاحاً لهذا نقول إن - ﷺ - حرص على المسلمين والمسلمات الصلاة خمس مرات في اليوم و ليلة يصهر بها القلوب، ويكبح جماح النفوس، فلا تطغى ولا تتكبر، وكف يراودها هذا الكبر والعجب، وهي ترى نفسها ساجدة خاشعة لربها، معرضة عن كل الدنيا من مال وولد وزينة، حين يقف المسلم أو المسلمة بردي أنه مصلي، مسبحاً، مكبراً، ومن قبل الصلاة قد طهر جسده وتوبه، فأسبغ الوضوء، وأخذ الزينة عند كل مسجد.

ألا ترى فروض لصلاة الخمس قد عودت المسلمين النظام، و لنضافه، كما عودتهم على تنظيم الأوقات، فأي مصلحة تلك التي تتسع هذه لفريضة تطم وتنطف وتقوم السلوك، وتدعو لتوضيع والمساواة، فالكل راكم، ساجد لرب واحد، في صف واحد، يختلط فيه العبي والفقير، والأمي والمتعلم، كل الناس من شتى البسات والهيئات، لا مراسم في الوقوف بين يدي الله إلا ما فرض الله، والفضل

(١) رواه مسم و لبحاري.

الدعوة إلى الله

للسابق، وهذا الصوم تزكوة به نفس لصائم وبطهر قلبه من العجب والكبرياء، بحس بالجوع، فتأخذه الرحمة فتجود بده على الفقراء واليتامى والمساكين وهذه الزكاة وسيلة لمودة، ولترحم بين الفقراء والأغنياء، وبها تطهر نفس المسلم من الشح والبخل، ويزكو المال مباركاً فيه.

« قُلْ إِنْ رَبِّي يَشَاءُ لَمُ يَرْزُقْ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَقْدِرُ لَهُ مَا أُنْفِقُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَهُوَ خَفِيفٌ » وَهُوَ حَمِيمٌ لِرَّزَاقِهِمْ ﴿١﴾

ألست هذه مصالح للناس أفراداً وجماعات ألس تشرعها هي الإسلام تقوية للروابط الإنسانية، وإزالة أسباب الشحناء والبغضاء والحسد من المجتمع. وهذا الحج فريضة ساوت بين الناس جميعاً كلهم قد تجرد من زينة الحياة، من فاخر الثياب، ولذيذ المأام، وتساووا فيما لبسوه من لباس الإحرام، وتسابقوا في الصواف والسعي ووقفوا على عرفات، وهي المزدلفة ومى.. مسلمين مستسلمين له تائبين، عابدين، قد حلقوا من مظهر حياة الدنيا وأخبتوا إلى ربهم بسألون، لعفو والعافية، إنها مصحة المصالح تخضع النفوس العاتية، وتذيب القلوب القاسية، فتخشع لذكر الله، وتتواضع لخلق الله، في مشهد من مشاهد المسواة والأمن والأمان في الإسلام مصون بم شرع الله من رحمة، وعدالة وطمأنينة وسلامة للمجتمع.

قال الماوردي - رحمه الله - في كتابه (الأحكام السلطانية) « لحدود رواجر، وضعها الله لردع عن ارتكاب ما حظر، وترك ما أمر، لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة، فجعل الله - تعالى - من زواجر

(١) الآية ٣٩ من سورة ساء.

رعاه الإسلام للمصلحة ويسره على الناس

الحدود ما بردع به ذا جهالة حذرا من ألم العقوبة، وحقيقة من بكان الفصيحة،
ليكون ما حطر من محارمه ممنوعاً وما أمر به من فروصه ممنوعاً، فيكون المصلحة
عم، و لكألف آم.

هذه مصحة المصالح أمار واطمئنان للمجتمع، فالعقوبة ليست هي وافعها
انعام من لدني، و إنما هي رو جروصعب، انه لردع عن ارتكاب لافو حشر،
والإسلام قرر مبدأ التسرعة، والمساواة، والسخوية للعقوبة، وراعت الشريعة هي
تتقيد العقوبة حالة الحاني، وظروفه حين وقعت جريمته ...

فالعقوبات لتسرع إما شرعت رحمة من الله تعالى بعدده، فهي صادرة عن
رحمة لحيو، وإحسان إليهم، ولذلك ينبغي من يتولى محارفة الناس على ما
يصدر منهم من نهم ان يقصد بذلك، لرحمة بهم، والإحسان إليهم كما يقصد
الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض.

فكر أمر أو نهى ورءه من الله حكمة بلغة قد يظهر، وقد يحفى على أساس، وقد
سدو ان هي، لعقوب قسوة وشدة، ولكن حقيقة الامر ان ما فرره الله - سبحانه - في
شريعته - لإسلام - من حكم هي ذب المصلحة وعين لحكمة و لعدالة والرحمة.

﴿ وَمَا خَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾^(١)

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ۚ ﴾^(٢)

(١) من الآية ٧٨ من سورة الحج

(٢) الآية ١٨٥ من سورة البقرة

الدعوة إلى الله

ويقول رسول الله - ﷺ - «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأنشدوا واستعبدوا بالعدوة والروحة وتشيء من دلالة»^(١).

أي استعبدوا على صاعه لله - عز وجل - بالأعمال الصالحة في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبودية، ولا تستأمنونها، مثل ما يفعل المسافر حين يتخير الوقت المناسب المربح فيصل إلى مقصده دون تعب.

أحاديث كثيرة مبسرة ومششرة، ومحدرة غير منفرة، تفصح عن مهاج الإسلام، وقصده في سريعه إلى تحقيق مصلحة المجتمع لاساني بوجه عام والمجتمع الإسلامي بوجه خاص، وذلك الدين القيم الذي ارضاه الله لعباده.

* أَفْحِكُمْ أَلْحَبِيَّةً يَتَعَوْنَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لَفُؤْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾^(٢)

(١) رواه بخاري، عن أبي هريرة

(٢) الآية ٥٠ من سورة المائدة.

الإسلام رسالة عالمية يخاطب الناس جميعاً على أساس العدالة والمساواة

العدل

العدل لغةً صد لضم ومده. عدل من أَلْفَطَ المُشْرَكَةَ ويقال عدل في الأمر عدلاً وعدالة استقام، وعدل في حكمه حكم بالعدل.

و لعدر في حقيفة امره ذو ابعاد كثيرة، تلمس في لعقول، والعمر، و المدي، و لرعة و لحكم، والعبد، ومعلمه الزوج، و لأولاد، و لخدم و لدس بوحه عدم، واجتمع.

ونائب أن شريعة الاسلاميه منصفه وأسسها عدلُ كلها، ورحمةُ كلها، وحكمةُ حميعها، فكر مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن لرحمة إلى صدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن لحكمة إلى العبه فليست من شريعة لإسلام التي هي عدل لله بن عبده، ورحمته بين خلقه، وفي بقران الكريم وسنة رسول الله - ﷺ - وسيرته وحياة أصحابه - رضوان الله عليهم - نماذج تقنن مثلاً عليها حملها العدل، وعملت به.

فالعدل من حيث جوهره ليس قاعدة من فو عد الإسلام فحسب، وإنما هو مثل أعلى من حقائق وقيم الإسلام الكبرى، التي حض على بحفيها وإشاعتها بن الناس في ثمان وعشرين آية من القرآن الكريم.

الدعوة إلى الله

مبها هو الله في سورة المائدة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَحْرِمَنَّكُمْ
شَيْءٌ قَوْمٌ عَلَى لَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١١ ﴾

وفي سورة الأنعام

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِاتِّبَاعٍ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ١٢ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ
وَالْعَهْدُ كَانَ دَا
قُرْبَىٰ وَنَعِمْ بِاللَّهِ يُوَفُّوهُ دِلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٣ ﴾

وفي سورة النساء

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ
الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ عَسًا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ
تَعْبُوهُ وَإِنْ تَوَارَءُوا أَوْ نَعِرْضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا نَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٤ ﴾

(١) آية ٨ من سورة المائدة

(٢) الآية ١٥٢ من سورة الأنعام

(٣) آية ١٣٥ من سورة النساء

وسنجد مثلاً كثيرة من نماذج العدل التي حث عليها القرآن.

فالعدل في عرف الإسلام فريضة واجبة، فرضها الله على جميع الناس دون استثناء.

كف عرس لإسلام لعدالة وفرضها على المسلمين، كانت لمساواة من عرسه، وقيمته، ومبادئه.

فالناس في شرع الإسلام متساوون جميعاً هي الحقوق و الواجبات، متساوون في تكوینهم، وأصل خلقهم، فلم يخلق الله شعباً أو جماعة من طين أشرف من الطين الذي خلق منه شعب آخر، أو جماعة أخرى.

ولقد أوضح هذا رسول الله ﷺ في قوله «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»^(١)

ثم تلا قول الله - سبحانه - في سورة الحجرات

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْرِفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ ﴾^(٢)

وقد امتدت هذه المساواة إلى مواطن عديدة، أحاطتها الإسلام بسياسات من القوانين، والقواعد، حيث التزم فيها بمبدأ المساواة الكاملة بين الناس.

ففي مواطن الأصول والنفاخر بالنسب والحسب يقف الإسلام مشرعاً وواضعاً لأصول جديدة في المساواة المطلقة، فيقرر الرسول - ﷺ - «الناس لأدم

(١) مسند أحمد.

(٢) آية ١٣ من سورة الحجرات

الدعوة إلى الله

«وادم من تراب»، وهي قول لعمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - «من قصر به عمه لم يسرع به نسبه».

وفي موضع اللون ساوى لرسول - ﷺ - بين الناس جميعاً دون نظر للألوان، وستقر هذا بين المسلمين

وفي عصر المساواة القانونية المعاصرة نجد أن اللون مازال سبباً للتمايز بين الناس لدى شعوب بلغت من الرقي المادي والعلمي شأواً بعيداً، لكن روح الإسلام وقوانينه قد أذبت العنصرية والعنصرية بسبب اللون والجنس بين المسلمين، فاستقرت المساواة بجميع مستوياتها وصورها حقيقة واقعة يلمسها الناس جميعاً. ذلك أن الإسلام هو صاحب الشريعة الوحيدة التي استطاعت أن تقر المساواة مبدأً نافذاً بين الناس جميعاً، وأحلت الانسجام بين القيمة وبين الواقع، وذلك يظهر في موطن القيادة، حيث يقف المسلمون صفاً أو صفوفاً مترابطة متناسقة، متلاصقين بالمناكب، متجهين إلى قلة واحدة وخلف إمام واحد، لا فرق بين غني وفقير، ولا أبيض وأسود.

فالمساواة التي شرعها الإسلام في تطبيقها وتحقيقها هي المساواة بين جميع أفرادها، ورعاياها في الحقوق والواجبات المدنية، أو السياسية، وأمام القانون، وأمام القضاء، فليس هناك شيء يميز بين الناس. فالعدالة والمساواة تقررت في الإسلام للإنسان، غير مسبوق في ذلك من دين آخر ولا قانون.

المصالح المعتبرة في الإسلام

ما من فريضة افترضها لإسلام، أو حد استوجبه إلا مصلحة للفرد بل وللناس جميعاً، مستهدفاً بها المصالح الدينية والدنيوية.

فقد ستهدفت نصوص القرآن والسنة تحقيق المصالح لمعبرة للذات والتي أرحعها العلماء إلى أنواع ثلاثة

أ- المصالح الضرورية وهي المحافظة على الدين، وعلى النفس، وعلى العقب، وعلى النسل، وعلى المال، لأن على هذه العناصر جميعاً تتوقف حياة الدار في هذه الدنيا ويوم يلقون ربهم، بحيث إذا احتل بعضها اختل نظام الحياة.

ب- المصالح لاجية وهي تلك التي يدفع، لحرص عن الناس كم في بعض الصور من المعاملات.

ج- المصالح التحسينية وهي التي تستهدف الأخذ بمحاسن العادات، وكمال الأخلاق، وقد ألقى الإسلام مصالح كانت لدى أقوام آخرين كالرهبانية، إذ قال رسول الله - ﷺ - « لا رهبانية في الإسلام »^(١)، ذلك لأنها لا تتفق مع قواعده في العبادات والمعاملات.

وقد ارتضى الإسلام للمسلمين أن يكون معيار الصلاح والفساد من قبل الله وحده، محدداً في القرآن أو في سنة رسول الله، ذلك لأن القوانين الأساسية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لا تتغير، ولا تتبدل، بل صلاحيتها مستقرة، مستمرة في كل الأزمان والأماكن.

(١) لفتوى ج ١٠ ص ٢٤٦

الدعوة إلى الله

وقد أفصحت لنصوص لقطعية عن أحكام به بوجه قاطع للشك رافع
لالتباس فلا يقل من أحد أن يستترك على أنه مصلحة يعرض بها نصاً شرعياً
قطعياً، فإذا قال الله في القرآن في المواريث

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي وُلَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ خِطِّ الْأُنثِيَّتَيْنِ فَإِنْ كُنَّ بَسَاءً فَلَهُنَّ مِثْلُ مَا لَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخْوَتِهِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِّمَّاهُمَا لِسُدُسٍ مِّمَّا يَرِثُ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثُهُ أُخُوهُ فَلِلْأُمِّهِ اثْنَتَانِ إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّهِ لِسُدُسٍ مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِي بِهَا أَوْ ذَيْنِ أَبَاؤُكُمْ وَأُمَّؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عِلِمًا حَكِيمًا ٢٤﴾ (١)

لم يعد هناك مقل لأحد في هذا الموضع، فالشريعة الإسلامية تستهدف غاية
مثالية، على عكس القوانين الموضوعية إذ غايتها نفعية محضة، تقدم مصلحة الفرد
على مصلحة الجماعة، بينما الإسلام نظم واجب الفرد نحو ربه في العبادات،
وواجبه نحو نفسه بقواعد الأخلاق بالإضافة إلى تنظيم علاقة الفرد بالمجتمع
الإنساني فالشريعة الإسلامية دين، وقانون، وأخلاق، وهذه الغاية المثالية هي التي
أدت إلى عدم الفصل في الفقه الإسلامي بين القواعد القانونية والقواعد الدينية
والأخلاقية، فقامت القواعد الفقهية الإسلامية على أساس أخلاقي لم يسبق إلى
هذا أي نظام قانوني قديماً، أو حديثاً.

(١) الآية ١١ من سورة النساء.

ولإيضاح. نسوف في هذا ما أسماء رجال القابون بضريه سوء استعمال الحق.

فقد جرى الفقه لإسلامي على تقييد استعمال الحق ليس فقط بانعدام نية إيذاء الغير، أو انتفاء الإهمال، أو المصلحة بالنسبة لصاحب الحق، بل فيد استعمال الحق فوق هذا بالغرض الاجتماعي والاقتصادي الذي تقرر الحق من حله. ومن أهم تطبيقات قاعدة - سوء استعمال الحق - هي الفقه الإسلامي لحقوق الحوار، والرفق بالمدين عند لتنفيذ على أمواله، والتدخل في تسعير المواد الضرورية للمجتمع حماية له من الاستغلال أو حبس السع، وإيقاع الناس في الحرج، والمشقة بناءً على تخطئة المحتكر في حديث رسول الله - ﷺ - « لا يحتكر إلا خاطيء ».

وقعدة الضرورة.. فقد أوصها فقهاء المسلمين على أساس من آيات القرآن، والأحاديث الشريفة التي عبرت عن تقدير الضرورات. فآيات التحريم هي لقرن استتنت بعدها

﴿ بِمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَكُدَّم وَلَحْمَ الْجَبْرِ وَمَا أَهْلُ بِهِ، لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا ثم عليه إن الله عفور رحيم ﴾^(١)

ووضع الفقهاء قواعدهم المعبرة « لا ضرر ولا ضرار »، « لمشقة بحب اتيسير »، « الضرورات تبيح المحظورات »، « الضرر يدفع بقدر الإمكان »، ليس ذلك في المعاملات فحسب، بل وفي العبادات، فلا تحلو فريضة من الفرائض إلا وفي الأمر بها، أو في النهي عن المحرم ممسحة من المصالح التي لا تخفى، وإلا وفيه

(١) الآية ١٧٣ من سورة البقرة.

الدعوة إلى الله

فدير لضروره اني هي مصلحة من المصالح. ففي الصهاره نحفيها، وفي صلاة تخفيف منها، وفي الصوم بحفيف لضروره، ثم كل عبادة من لعبادت وراها مصلحة لمسلم، فهذه لصلاة بين القرا ما وراها (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمكر) حتى قبل أن سه قابل أمراً ينهي هالنفس تامر بالنسر

﴿ وَمَا أَرَىٰ نَفْسِي إِلَّا الْفَسْ لَأْمَرَةٍ بِأَسْوَأَ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١﴾

والصلاة تنهى عن الشر

﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأُحِمُّ الصَّلَاةَ ۚ وَبِالْصَّلَاةِ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٢١﴾

وجاء أمر آخر في القرآن مؤكداً لهذا الهمي عن الفحشاء والمكر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝٢٢﴾

وهكذا إذا تتبعنا العبادات وجدد فيها لمصالح العاحلة في الدين وما عند الله خير وأبقى

اللهم اهدها الصراط المستقيم.. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين...مين.

(١) الآية ٥٣ من سورة يوسف

(٢) الآية ٤٥ من سورة العنكبوت

(٣) الآية ١٥٣ من سورة البقرة.

منهج التدين في الإسلام

يرشدنا إلى هذا المنهج ومبطقه قول الله - سبحانه -

﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأُقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْفِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْعُقُونَ ﴾ ^(١)

وقول لرسول - ﷺ - « ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يردد من الله لا بعد » ^(٢)

ومن ثم كان من المحتم أن يصبح مفهوم الدين مقروناً بإيصاح السلوك المستقيم في الفكر و العمل و الحلق، كمكونات له، مع استبعاد كل الوسائل لهابطة، وما لا يناسب الدين من كل منهج واعد، ومن سوء فهم حفيقة الدين، واستبعاد الاحراف والخرافات المتراكمة، مما يؤثر على فكر الشباب وخواطرهم.

ويجب استنماد المعلومات، لدينية من حقائقها لأصيلة التي نطبع الحياة بطابعها لإنساني لتكامل دون تناقض مع الحقائق العلمية، وتقدم الإنسيه لأن الدين والعلم متكاملان، غير متناقضين، وآيات القرآن الكريم التي تزكي العلم والعمل كثيرة وفيرة.

ثم إن الشباب يجب أن يعرف معنى لإيمان ومعنى الإسلام، وأسس الإسلام، وكبائر الذنوب وصغائرها، وأن يرتكب الكبيرة ليس بكافر، وأن تكفير المسم من الكبائر، وأن لجهل والخطأ والإكراه عفو بشروط لكل منها، وأن يعرف المنهج

(١) آية ٥٤ من سورة العنكبوت.

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره عن عمران و بن عدس مرفوعاً.

الدعوة إلى الله

الفويم للدعوة إلى الله، ومراتب الدعوة، ومن يقوم بكل مرتبة منها، وصوابط تأويل آيات القرآن الكريم، والاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها الأساسية، وغير هذا من الأمور العامة، والهامة التي تدور على الألسنة، والتي يقع من يواجهها في حرج خطير إذا لم يكن قد تأهل لها بالعلوم، و لمعارف المؤهلة لارتياذها.

وبدا يفهم الشباب حقيقة الدين وترايط العقيدة والأخلاق و لسلوك مع العمل، وبشؤون على سلوك قويم محبين لبعضائهم عزوفين عن الرد، بل، سنقدم أمرهم، واعتزوا بديهم وبوطنهم وباعدوا بين أنفسهم وبين الانحراف كل الانحراف وفي شأن المسؤولية نحو الشباب، فإن لإسلام قد حمر كل فرد المسؤولية الناجمة عن عمله ومعتقد، وهذا و صح في آيات القرآن الكريم.

ومن ذلك قول الله - سبحانه -

﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾^(١)

ومن ذلك قول الله تعالى

﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ وَأَنْ أَسَئْتُمْ فَلَهَا^(٢) ﴾

(١) الآية ٣٩ من سورة الدجيم

(٢) من الآية ٧ من سورة الإسراء.

ولقد حذر الرسول - ﷺ - ابنته فاطمة، وعمته صفية بنت عبد المطلب بقوله الشريف «يا فاطمة بنت محمد عملي، فإن أغني عبد من به شيئاً، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لن أغني عنكم من الله شيئاً»^(١) وهذه المسؤولية العرفية متنوعة، تشمل كل عائلات الفرد مع نفسه، ومع غيره، ومع ربه.

ومن هنا كانت مسؤولية التشبيب عن نفسه على هدي ما تعلمه وما فعلته لمسؤولية لجماعية عن لشباب، ومن مسؤولية لشباب نحو نفسه من يحذر ولك المفسدين الذين ينشرون الأفعال السيئة، وينطقون بالأقوال الموجهة إلى الفساد واحرضة عليه.

هم يغرون لنسب باتتاع وإشباع أهواء النفس وتزواتها ورغبتها نزولاً على مبدأ الحرية المطلقة التي تتسم بسمة الفوضى والوجودية. كما يغرونهم بالتمرد على نصائح ونوجيه الآباء والمربين بدعوى أنهم رجعيون صدأ أفكارهم، فلم تعد نسب لأجيال الحديدة، ثم إغراء الشباب بالتقيد لكل واحد من العادات والأعراف، ولو كان قد هجره أهله.. ومع كل هذه الأهواء كان سوء فهم الدين..

معنى الدين:

كلمة الدين في لغة العرب من الألفاظ المشتركة بين عدة معان.. فيقول د ن الرجل إذا أطاع.. ودان إذا عصى . ودان إذا عز، ودان إذا ذل... فهو من الأضداد..

(١) ذكره أحمد في مسنده.

الدعوة إلى الله

ويطلق لفظ لدين أبصا على لعادة والشأن. والدين هي الاصلاح الإسلامي وصنع إلهي سرع لإسعاد الناس في حياتهم هي الدنيا والآخرة وهو المرء بالهدي الذي نه به إلهه سيدنا آدم - عليه السلام - عندما هبطه إلى الأرض في قوله - تعالى - في سورة طه

﴿ قَانَ أَهْبَطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَتَّبِعُكُمْ مَنِي هُدًى فَمَنِي أُنَبِّعُ هُدًى فَلَا يَصُرُّ وَلَا يَنْشُرُ لِي وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ تَقِیمَةُ أَعْمَى ﴾ (١)

وهذا الهدي الإلهي الذي جعله الله - سبحانه - هدبا لأدم ودريته جاءت به الرسل متتابعين وحيًا من الله - سبحانه - حتى انتهى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد - ﷺ - وإذا كان الدين وحيًا من الله - سبحانه - كان فيه كرسعادة للناس في الدنيا والآخرة. وكان هو وسيلة الإنقاذ.

(١) الايتان ١٢٣ و ١٢٤ من سورة طه.

دور المسجد في التوجيه الاجتماعي

للمجتمع الإسلامي

يؤدي المسجد دوراً هاماً في لحل الاجتماعي بالنسبة لمجتمع الإسلامي، حيث كن - ولا يزال - يعمل على المحافظة على تماسك الأسرة لإسلاميه ثم الأمة الإسلامية، وذلك عن طريق ما يلقي فيه من محاضرات وخصب تتناول اهتمامات الشعوب الإسلامية هي كل شأن من شؤون الحياة.

ولعل من ابرز المجالات التي ينبغي أن يقوم بها المسجد في العصر الحديث هو أن يكون محوراً لمجموعة من الخدمات الخبرة كن يكون إلى جانبه مسووف طبي لمعالجة المرضى، وند لشباب يمارسون فيه الرياضة البدنية الحفيفة، و لنشاطات الثقافية، والترفيهية الربيئة، ومكتبة للقراءة والمطالعة، ودار لعرض الأفلام العلمية والاحتماعية والتربوية لهادفة، إلى غير ذلك من النشاطات الأخرى. وبذلك، يسترجع المسجد دوره لتوجيهي الهام في المجتمع حسب متطلبات العصر الحديث، ولذلك ينبغي إعادة النظر في هندسة بناء المساجد في وقتنا لحاصر، حتى تكون وافية بالأعراض الاجتماعية النافعة للجماعة الإسلامية، بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية، وهي العبادة، والتوجيه الديني

ولقد انتشرت في عصرنا ظهرة الدروس الخاصة للطلاب - في مختلف المراحل النعيمية - وأولى بالمسجد أن ينشط إلى مساعدة الطلاب تيسيراً لهم في مكن أمر يستظهرون فيه دروسهم، ويجدون فيه المرجع من الكتاب في المكتبة، و لأستاذ المتخصص في المواد المختلفة.

الدعوة إلى الله

ولقد كان المسجد في صدر إسلام هو المكان الذي يتخرج منه العلماء،
والفقهاء والقادة الصالحون.

كما كان المسجد هو المركز الذي تدار فيه حياة المجتمع، وعلى نور رسالته
تسير خطى حياة الناس.

كان بحق كما وصفه الله في قوله

﴿ فِي بُيُوتٍ ذُنَّ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوَةِ وَالْوَصَالِ
رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَلَا بَصِيرٌ ﴾ [١] لِيُخْرِجَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١)

وقد أجمل ابن تيمية - رحمه الله - وظائف المسجد على عهد رسول الله - ﷺ -
بقوله "وكانت موضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي - ﷺ - أسس
مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة، والقراءة، والذكر، والتعليم، والخطب،
وفيه لسياسة، وعقد الألوية، وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع
المسلمون، لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم".

إن أداء الصلاة في جماعة، وظيفية من وظائف المساجد تنمي في الإنسان
المسلم صفات وخصائص، تقربه من الله - سبحانه - وتقويه ارتكاب المعاصي وتحيي
الوازع الدني لدنه، ويعينه هذا على أن يصلح ما بينه وبين الناس.

(١) الآيات ٢٦ - ٢٨ من سورة النور.

دور المسجد في التوحيد الاجتماعي للمجتمع الإسلامي

والصلاة في جماعة نحقق لنالف والتراحم والمساواة بين المسلمين، وقد وردت الأحاديث الصحيحة التي تحت على صلاة الجمع والجماعات في المساجد، حيث تَفْصِلُ صلاة الجماعة على صلاة لفرد في بيته أو سوقه بسبع وعشرين درجة.

ولقد أوضح الرسول - ﷺ - حكمة صلاة الجماعة، وما تنطوي عليه من تكوين روح الجماعة بين الناس وإشاعة المودة والتراحم فيما بينهم، في قوله الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب العنم، يأخذ الشاة القاصية، والناحية، فأياكم والشعاب، وعلمكم بالجماعة والعامّة والمسجد».

وهي لمساجد الجامعة تقدم صلاة الجمع، بما فيها من خطبة يتعلم منها المسلمون ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويتداولون فيما يهتمهم من الأمور ويتعاطفون، ويتأززون، كي تتواصل المجتمعات لصغيرة.

وهي لمساجد ذكر الله - تعالى - الذي يدخل فيه تلقى العلم، وتعليمه، والدعوة إلى البر، ومزاولته، من أجل رضا الله، والتماس رحمته ومغفرته. لقد تلقى الصحابة - رضوان الله عليهم - في المسجد القرآن وعلومه، والسنة الشريفة، قولاً، ونقرياً، وأفعالاً، فكان المسجد بهذا ميراً لشخصية المسلم الكامل، والمجتمع لفاصل الذي وصفه الله في قوله - تعالى -

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ وَأَنبَأَهُمْ وَأُورِثَهُمْ وَيُعِيمُهُم بِالْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَيَ صَافِرِينَ ﴾

مُتَسِّرِينَ ﴿١﴾

(١) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.

الدعوة إلى الله

إنه - ﷺ - معمم يفرّ لقرآن على المسلمين، ويشرح آياته، ويعمل على تطهير نفوسهم، ويعلمهم لحكمه وأموراً نسي لم يكونوا على علم بها

والنبي - ﷺ - يعرف وظيفته، ويستشعر مهمته، ومسؤوليته لبي حملها إياه ربه - سبحانه وتعالى - فيقول "إِنَّ رَبِّي مُرَبِّي إِنْ عَلِمْتُكُمْ مَا حَلَمْتُ مِمَّا عَمِي"^(١).
وبدرك صحابته - رصون الله تعالى عليهم أجمعين - هد حبث وصفه أحدهم بقوله "ما رأيت معلماً قبله، ولا بعده أحسن تعليماً".

من هنا كانت "همة المسجد في التوجيه الاجتماعي للمجتمع الإسلامي، وصدى رسول الله - ﷺ - حيث قال «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتابه، ويتدبرونه بينهم إلا برئت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(٢).

(١) رواه مسلم في صحيحه

(٢) رواه أحمد في المسند عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

الدعوة إلى الله

الإسلام ليظل المجتمع المسلم قائماً وشامخاً متماسكاً، ولتبقى لألفة حول الإيمان مشرقة والأواصر في طاعة الله قوية.

ومن هنا، أفاد القرآن في تلك الآيات أن سبيل السلام المرشدة إلى نعم الحياة قد جاءت من الله، (قد جاعكم من الله نور وكتب مبين).

ومن أظهر معاني سبيل السلام في القرآن أنه لا يُكره أحد على الإسلام، وأية ذلك أن الله أمر بموادعة من أقوا السلام إلى المسلمين فقال

﴿ يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَبَّلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَصَ الْحَيَوٰهِ لَدُنَّيَا فَعَدَّ اللَّهُ مَعَابِرَ كَثِيرَةً ۚ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِمَّن قُتِلَ فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَقَبَّلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ ١٧ ﴾^(١)

وقال في شأن من كف عن قتال المسلمين وعن الكيد لهم

﴿ لَا أَلَدِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِثَّةٌ أَوْ خَاءٌ وَكُم حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ أَوْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَطَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَفَقَتَلُوكُمْ ۚ فَإِنْ أَعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُم عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝ ٢٧ ﴾^(٢)

(١) الآية ٩٤ من سورة النساء.

(٢) الآية ٩٠ من سورة النساء.

وإتماماً وضمناً لاستمرار وقيام دعوة الإسلام على السلام، كان من صلاح الأمر أن يكون السلام حافظاً لقوة المسلمين ودافعاً أذى أعدائهم عنهم. وقد حرص الإسلام في وصاياهِ على السلم والسلام طلباً لوحدة الأمة ووقاية من كل ما يفرق صفوفها ويضعف قوتها، فقال الله في القرآن

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١)

وقال

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۚ وَأَصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢)

وفي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ - «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٣).

فالإسلام قام على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ونادى بالسلام الذي اشتق اسمه منه، وجعل تحية أهل الإسلام السلام، وطالما نهى عن البغي والعدوان وتوعد المعتدين والبغاة بأشد أنواع العقاب.

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٤٦ من سورة الأنفال.

(٣) متفق عليه.

الدعوة إلى الله

وهي هذا الحديث ما يشير إلى معنى دقيق سام حيث تلوح عبارته وتسير إلى أن هي تسميه المسم بهذا الاسم الذي منه اشتق اسم الإسلام إشاره إلى أن معنى سم جعل الناس سالمين من آذاه، وليس معناه فقط جعر نفسه سلماً لله وفي هذا البعدين إغراء على المسألة، وتحذير من مصاره ساس إذ في حالة المضاره بالأذى، يكون حمل لقب الإسلام كته يحمله روراً وهو ليس له أثر. ونحقيف للسلام، حت الس على التدخل في الخصام والحلافات طلباً لتسويتها وتحقيقاً للسلام بين الناس

ففي الحديث الشريف « بصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا يا رسول الله هذا نصره مظلوما كلف نصره ظالمًا قال تمعه عن لطم ^(١) » وهذه دعوة إلى العدول عن الموقف السلبي في حال الخلاف بين ادس حتى لا يتفاقم الخلاف ويشتد.

ولقد فرض القرآن التدخل إذ وقع القتال بين طائفتين من المؤمنين لإيقاف لقتال، كما في سورة الحجاب

« وَإِذَا طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْبَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ نَعَتْ إِحَدَهُمَا عَنِ
الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي نَعَتْ حَتَّى نَهَى إِلَى مَرَّ آلِهِ فَإِنْ قَاءَتْ فَأَصْبَحُوا بَيْنَهُمَا
أَنْعَدْنَ وَقَسَطُوا بِإِذْنِ اللَّهِ مُحْتَأْسِقِينَ » ^(٢)

ليس هذا فرصاً على المسلمين أن يسعوا إلى السلام ويوقفوا القتال، بل بقاتلوا الباغين.

(١) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه

(٢) الآية ٩ من سورة الحرات

٧
١ - الإسلام والسلام

ومن هنا، كان من بقاء منفرداً في حال العدوان على أحد وهو قادر على
المنع أنما

ولنذكر دائماً قول الله سبحانه

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَنْصَحْكُمْ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٢٠ ﴾ (١)

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

٢- الإسلام والسلام

(السلام مع الله)

في حديث سابق، تحدثنا عن الإسلام والسلام وأنها متلازمان معاً يجريان في ثلاث شعب أولها السلام مع الله

وهذا ما بدأ به رسول الله - ﷺ - دعوته، حيث دعا إلى توحيد الله، فكان من أسس عقيدة الإسلام (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله). هذه الشهادة إعلان من المسلم بدخوله الإسلام وإيمانه بكل ما جاء به من عبادات ومعاملات وأخلاق مجتنباً ما نهى الله عنه.

والمسلم بهذا يكون قد أسلم وجهه لله وهو محسن وتعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب وهو جانب الله عز وجل، كما وصفه الله في سورة لقمان بقوله

﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَنَقَةُ الْأُمُورِ ﴾ (١)

ومن السلام مع الله الاعتماد والتوكل عليه بعد الأخذ بالأسباب، ذلك قول الله - سبحانه - في سورة آل عمران

((فَإِذْ عَزِمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِثُّ الْفُتُوكَاءِ)) (٢)

(١) من الآية ٢٢ من سورة لقمان.

(٢) من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

الدعوة إلى الله

ومن السلام مع الله عبادته بما فرض وأوحى، وذلك يمثل في إقامة أسس الإسلام التي جاءت في حديث رسول الله - ﷺ - الذي رواه البخاري عن ابن عمر «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج».

وينبغي أن تكون كلمة، لوحدها بطف باللسان واستقراراً في الجان بمعنى أن يكون القلب بها حاضراً و لللسان ذكرًا، حتى تخشع لها لحوارج، وينقشع بها الشيطان، وبمضى النفس خضوعاً لربها وشكراً لحاقيها على أنعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ثم إن كلمة التوحيد مראה من الشرك بالله، تهية النفس للصفاء والنقاء، وتلق أو مر الله بالتسليم والإدعان من غير جدل ولا مراء.

ومن السلام مع الله بقواه ومر فبته ونجوه، وإخلاص في العبودية، ولعمل لصالح المثمر خير لمسلم وللناس أجمعين.

وبقوى الله وسنة إلى العم، ففي سورة لقده قول الله سبحانه

((وَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَظِيمًا))^(١)

والتقوى وسيلة إلى البسر، ففي سورة الطلاق قول الله تعالى

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٢)

(١) من الآية ٢٨٢ من سورة لقده

(٢) من الآية ٢ من سورة الطلاق

٢- الإسلام والسلام (السلام مع الله)

وفى ذات السورة قول الله سبحانه

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۚ﴾^(١)

فالإسلام مع الله يستتبع الإحسان واليسر، فلا عسر ولا تعبس هي لعقيدة، بل سماحة وسماحة عنوانها كلمة الوحيد المبرهنة له عن كل الفئس، والموجه له كرم كمال وجلال.

وأى عسر فى عقيدة الإسلام أو تعقيد بعد قول الله تعالى فى سورة النساء

وأى عنار للإسلام وللسم فوق هذا الاعتبار لقراى؟ اللهم لا

إن اسلام مع الله إيمان وإعان وعمل، وتلك هى مكواب الإسلام. والعقيدة والشرعية بهما صلاح الفرد ولأمة وهذا مم يشير إله قول الله سبحانه فى سورة الأنعام

﴿قُلْ إِبْرَاهِيمَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِتُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)

ومن السلام فى الإسلام أن تعدد به كائنك تراه فإن لم تكرر تراه فإله يرال. حضور كمل فى العبادة، فإن كنت فى الصلاة فادكر أنت تاجى لله رب العالمين بما علمنا فى كتابه فى سورة الأنعام

﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَتُسَكَّى وَتَحَيَّيْتُ وَمِمَّا يَنْبَغُ بِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ

وَبَدَلْتُ مِثْرًا وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۚ﴾^(٣)

(١) من لاية ٤ من سورة بلاق.

(٢) من لاية ٧١ من سورة الأنعام

(٣) الايتن ١٦٢ و١٦٣ من سورة الأنعام.

الدعوة إلى الله

فيخشع قلبك وتطمئن حوارحك، وتسبح باسم ربك العظيم وباسم ربك الأعلى، وتوقن بأن التسبيح لله في ركوعك وفي سجودك باطمئنان وإيمان تقرب إلى الله، وعبادة له سبحانه بما شرع وأحب، ألا تراه قد استجاب دعوة ذي النون كما جاء في سورة الأنبياء

﴿وَدَا كُورٍ إِذْ دَهَبَ مُغِصًا قَصْرٌ أُنْزِلَ نَقْدَرُ عَلَيْهِ فَنَذَى فِي لَطْمَتٍ أُنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ٨٧ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ٨٨﴾^(١)

إن السلام مع الله يتحقق بأن يكون الإسلام كله حاضراً وماثلاً ومتمثلاً هي المسلم بحملة مقوماته ومكوناته بالعقيدة والأخلاق، بالعبادات والأدكار، بالمعاملات والتشريعات. إذ الإسلام إنما ينهض بناؤه بكل قواعده وأركانه، ومنها تكون منطلقاته في التعامل مع الحياة والسلوك مع البشر، كما بدت تطبيقاته في أجمل صورة وأكمل مثال، في أخلاق رسول الله - ﷺ - وفي سلوك خلفائه وصحابته وسير الهداة المهديين:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦﴾^(٢)

(١) الآيتان ٨٧ و ٨٨ من سورة الأنبياء.

(٢) الآيتان ١٥ و ١٦ من سورة المائدة.

٣ - الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

تحدثنا عن الإسلام والسلام، وعن شعبة من شعبه الثلاث، وهي لسلام مع الله، ونستكمل ها حديثا عن شعبتيه الباقيتين

أولاهما: السلام مع النفس:

إن لسلام الإسلامي ثمرة عرس الشمائل والعضائل والنقوى وبتوكل على الله ومحبتة، مما أصل الشرع، وأثل للحياة من عقيدة وأحلاق ليقوم المجتمع الإنساني استوازن، مجتمع الإحسان والعدل، الذي تصان فيه الحرمات والحريات، وتؤدي الحقوق والذمم، ويحصر السوء في أضيق المسالك، إن النفس الإنسانية أماراة بالسوء، كما وصفت في سورة يوسف في قول الله سبحانه:

﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴾^(١)

ومن ثم، جاء الإسلام بالآداب والأخلاق والتشريعات التي تغلب في نفس الإنسان روح الخير وتهديها إلى تكوين المجتمع الفاضل الذي ابتغاه الله لناس. ووصولاً إلى سلام الإنسان، كل إنسان في نفسه كانت توجيهات الإسلام إلى الخير تعبئة نفسية وعقلية وأخلاقية وتشريعية، حيث وظف الإسلام كل خصال الخير في النفس البشرية، واستنهضها إلى سبيل الله وهو (السلام) بالحكمة ولموعظة الحسنة.

(١) الآية ٥٢ من سورة يوسف.

الدعوة إلى الله

والسلام مع النفس. أن تتجه إلى صنائع المودة وفعل الخيرات لجمع الخلو،
ففي سورة آل عمران قول الله سبحانه

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ١١٥ ﴾^(١)

ومن ثم كان صنع الخير لذات الخير مطلباً إسلامياً دور نظر إلى ما إذا كان
قد صادف من هو أهله أو لم يكن كذلك.

هذا سبيل من سبل السلام مع النفس في الإسلام، حتى تقدم على الخير
تؤديه دور مقابل، ولا ترقب حزاء، كما وصف الله بعض عباده المؤمنين بقوله تعالى
في سورة الإنسان

﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَنَى حَنَمٍ مِسْكِينَ وَيَتِيمَ وَأَسِيرًا ١٢٠ ﴾ ﴿عَا طُطْعُكُمْ لَوْحَهُ اللَّهُ لَا

نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ١٢١﴾ ﴿بِأَحْبَابٍ مِنْ رَبِّكَ يَوْمًا عَتُوسًا قَمَطِيرَ ١٢٢﴾^(٢)

ومن السلام مع النفس إلزامها بالفصائل، فالصدق فصله يحب أن يلتزم بها
الإنسان، لأن الصدق من علامات المنقن، ذلك قول سه - سبحانه - في سورة الرمر

﴿ وَالَّذِي حَاءَ بِالْضِدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ٢٣ ﴾^(٣)

(١) الآية ١١٥ من سورة آل عمران.

(٢) الآيت ٨، ١٠ من سورة الإنسان

(٣) الآية ٢٣ من سورة الرمر.

وفي سورة التوبة

« يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءٰمَنُوا تُقَوِّلُوا لَكُمْ وُكُوفُ مَعَ صِدْقِكُمْ ۚ »^(١)

و لأمه و لوفاء بالعهد وبالوعد وبالعهد كر أولك فضائل نقحمل بها النفس
لأساسة وتتجلى فيها هذه الكرائم، حتى تفيض على حياة لشريفة مد وسلاماً،
والوصع من حمد السحابا التي ينعي ر يتوصى بها لباس حتى نسود
بنهم اموده والمحبة والحم، بمعنى السر و لصفح من لسمات المحموده، وقد
ثنى الله على إبراهيم - عليه السلام - في سورة هود فقال

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ ؕ ذُوُّ مَبِيتٍ ۖ ﴾^(٢)

كما ثنى قوم شعيب - عبه لسلام - عليه في ذات لسورة كما في قول الله

« قَالُوا يٰٓشُعَيْبُ أَصَلَوُكَ تَمْرُكَ أَنْ تَرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَأَنْ تَفْعَلَ فِي
أَمْوَالِنَا مَا نَسْتَوْفِي بِكَ لَأَنْتَ الْخَلِيمُ الرَّشِيدُ ۖ »^(٣)

ومن السلام مع لنفس حملها على الرفق والإحسان في لقول والعمر، في
العبادة والمعاملة، يشير إلى هذا قول الله - سبحانه - في سورة البقرة

(١) الآية ١١٩ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٧٥ من سورة هود.

(٣) الآية ٨٧ من سورة هود.

الدعوة إلى الله

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ سَيِّ إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِأَنفُسِكُمْ إِحْسَانًا وَذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (١)

وفي سورة آل عمران في صفات المتقين

﴿ الَّذِينَ يُسْقُونَ فِي السَّهَاءِ وَالصَّرَاءِ وَلَٰكِن يَمِيزُونَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢)

ومن السلام مع النفس أن تحمها على العفة وعلى لعافى وعلى لقناعة
وحسن السلوك و لشكر لمن أحسن إليك والرحمة بالناس، بل وبالحيوان، فقد
امتدح الله الذين تواصوا بالرحمة في سورة البلد فقال

﴿ تَمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّخْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴾ (٣)

وعبر هذا من صفات الكمال، و لجمال التي هي من أخلاق الإسلام
ومن السلام مع النفس أن تكفها عن مساوىء الأخلاق، كالبطر، والكبر،
والإعراض عن الصبح، ففي سورة لقمان قول الله تعالى

(١) الآية ٨٢ من سورة بقره.

(٢) الآية ١٢٤ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ١٧ من سورة البلد

٣ الإسلام والسلام مع المعصومين ومع الناس

« وَلَا تُصَغِّرْ حَدْلَكَ سَنَسٍ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَلٍ فَخُورٍ ۚ »^(١)

وفي سورة المائدة قول الله

« قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَيُّ وَالْأَظْنَبُ وَتَوْ غَضَبِكَ كَثْرَةُ الْحَبِيبِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْسَبِ نَعْلَكُمْ تَفْلِيحُونَ ۚ »^(٢)

وأن تكفها كذلك عن الإسراف، وعن البخل

ففي سورة الإسراء قول الله

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَمْسُجْهَا كُلَّ الْيَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۚ »^(٣)

ومن السلام مع النفس أن تكفها عن البهتان والكذب على الناس، بأن ترتكب الحرائم والذنوب، وتلتصقها بغير بريء منها، ففي سورة النساء قول الله - سبحانه

« وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزْمِرْ بِهَا زِمْرًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۚ »^(٤)

وأن تكفها كذلك عن الطعن في أعراض الناس بالغيبة والنميمة، ففي سورة

الهمزة قول الله

(١) الآية ١٨ من سورة لقمان

(٢) الآية ١٠٠ من سورة المائدة

(٣) الآية ٢٩ من سورة الإسراء

(٤) الآية ١١٢ من سورة النساء

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(١)

وَأَن تَكْفَ لِنَفْسٍ كَذَبَتْ عَنِ الْإِسْخَرِيَّةِ مِنَ الْآخَرِينَ، ذَلِكَ قَوْلُ س - سَبْحَانَهُ - فِي
سُورَةِ الْحَجَرَاتِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً
مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تُنْمِرُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ
بِئْسَ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقُ نَعْدُ الْإِيمَانُ وَمَن لَّمْ يَتَّخِذْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢)
وَأَن تَكْفَهَا عَنِ الْكَذِبِ وَقَوْلِ الزُّورِ، فَفِي سُورَةِ الْحَجِّ قَوْلُ اللَّهِ

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْصِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهَُّ عَبْدًا رَّبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآتَعَمُ إِلَّا
مَا بُتِلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاحْذَرُوا لَزْحَسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٣)

وَفِي سُورَةِ الزُّمَرِ قَوْلُ س

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾^(٤)

وَمِنَ السَّلَامِ مَعَ لِنَفْسٍ كَفَهَا عَنِ الْخِيَانَةِ فَفِي سُورَةِ لِنِسَاءِ قَوْلُ س - سَبْحَانَهُ -

(١) الآية ١ من سورة، لَهْمَزَة

(٢) الآية ١١ من سورة، لَحْرَات.

(٣) الآية ٢٠ من سورة لَحَج

(٤) الآية ٣٢ من سورة لَرْمَر

٣- الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

﴿ مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا حَقًّا لِنُحْكِمَ بَيْنَ النَّاسِ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِحَادِثِينَ حَصِيمًا ۚ ﴾^(١)

وقوله تعالى

﴿ وَلَا تُحْدِلْ عَنْ دِينِكَ تَحْتَاوِرَ فُفُوسُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ حَوَآءًا أَثِيمًا ۚ ﴾^(٢)

إن السلام مع النفس يحقو بمرافقة به وحشيته طلب لصلاح النفس، ولعد
به عن موطن الهلاك، ذلك ما يشير إليه قول الله - تعالى - في سورة الإسراء

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَوْضِعٍ يُذَكَّرُ فِيهِ لَذِكْرِكُمْ لَكُمْ وَلِئَلَّكُمْ تَكُونُونَ مُسَبِّحِينَ ۚ ﴾^(٣)

ثانيتها السلام مع الناس.. أو السلام الاجتماعي

إن الإسلام أرسى للسلام دعائم، وضرب لأمثال التي تشد الناس
للاستمسك به. فهد هو القرآن يعود بالناس إلى أصلهم الإنساني الأول، مكرراً
بوحدة الأبوين، مستثيراً، فهم صلة القرى التي نعم الإنسانية كلها.
ففي سورة النساء قول الله - سبحانه -

(١) الآية ٥ من سورة النساء.

(٢) الآية ٧ من سورة النساء.

(٣) من الآية ٧ من سورة الإسراء.

الدعوة إلى الله

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَنَثَّ مِنْهُنَّ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي سَاءَ لُؤْلُؤُ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۖ ۝ (١) ﴾

وهي سورة الحجرات

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَخَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۖ ۝ (٢) ﴾

هذه الآيات وغيرها تستنهيص الناس أن يتعارفوا، وأن يكونوا إخوة في الإنسانية، وأن يعرفوا لهذه الإخوة كافة الحقوق، بغض النظر عن اختلاف الناس في اللون، والدين، والغنى ولفقر، والمهنة، فهذه دعوة إلى السلم والسلام بين بني لإنسان جميعاً تكريماً لهذه الإخوة الإنسانية.

ولقد أوصى الإسلام بالسلام مع الأهل والزوج ولبنين ولبنات ونوي القربى والعشيرة وبالخيرين، وبالرفقة في لطريق، ففي سورة النساء قول الله - سبحانه - ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ ۚ شَيْئًا ۚ وَيَنْوِلْدِينَ حَسَنًا ۚ وَبَدَىٰ لِقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالتَّحَارِ دَىٰ الْقُرْبَىٰ وَالْحَرِ الْحُسْبِ وَالصَّحْبِ بِالْحُسْبِ وَبِ السَّيْلِ وَمَا مَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَلًا فَحُورًا ۖ ۝ (٣) ﴾

(١) الآية ١ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٢٦ من سورة النساء.

٣ الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

وفي شأن الزوجين يقول الله - سبحانه - في سورة النحل:

« وَلِلَّهِ حَقُّ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ نِسْرًا وَخَفِئَةً
وَدَّرَفَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَفْئِدَةً يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ^(١) »

وفي سورة لروم

« وَمَنْ عَابَتْهُ نَفْسٌ خَلْقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ^(٢) »

أليس في هذه الآيات السلام الذي بشم المجتمع كله من الوالدين إلى
القرية، ولبتمى والمساكين والحيوان، حتى ولو اختلفوا في الدين والسلام في
الأسرة بين الزوجين والأولاد والأحفاد، تستقيم به الحياة في المجتمع، فيتعاونون
على البر والتقوى، ويتناصحون على ما فيه خيرهم، حتى يؤدوا ما خلقهم الله له،
من عبادة وعمل في تعاون وتالف.

وإن السلام في نضاق الإسلام يواحه الشرور التي قد تسيطر على بعض
النفوس، ومن هنا كان السلام سلاحاً موجهاً لهذه الشرور التي قد تحيق بالمجتمع
أو بالأسرة.

فمرى لإسلام قد بث السلام في العبادات، والأذكار، وفي المثل الأخلاقية، وفي
لتشريع، ليكون بها حمباً قوام السلام الدائم، السلام الذي ينعقد عليه القلب.

(١) الآية ٧٢ من سورة النحل.

(٢) الآية ٢١ من سورة لروم

الدعوة إلى الله

ففي الصلوات يقول المصلي في التشهد «السلام عليك أيها النبي ثم يختم الصلوة بحبه السلام حب بقول مصي مع الأسفوت يمناً ويسراً «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وفي الأذكار «الهم أنت السلام وميتك لسلام» ولقد أوصى الإسلام بأن يكون السلام شعار المجتمع، فأصبحت تحية المسلمين حين التلاقي «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وقد صار شعار كذلك حتى عند زيارة موتى الذين سكنوا القبور «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»، «السلام عليكم يا أهل القبور» وسمى به الحية (دار السلام) فقال في سورة الأنعام

﴿ هُمْ دُرُّ السَّيِّمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وفي سورة الأحزاب

﴿ حَبِطَتْهُمْ يَوْمَ يَقْوَاهُ سُلَمٌ وَوَعْدٌ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (٢)

وفي وصايا القرآن في رد التحية في سورة النساء قول الله - سبحانه -

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ (٣)

(١) الآية ١٢٧ من سورة الأنعام

(٢) الآية ٤٤ من سورة الأحزاب

(٣) الآية ٨٦ من سورة النساء.

٣- الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

وفي سورة النور

﴿ سَيِّئٌ مَّا تُدْعَوْنَ لَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِيهِمْ غَيْرُ يَتُوبُكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَمُّوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ١٠ ﴾^(١)

وفي ذات السورة

﴿ فَيَدْخُلْنَهُمْ نُبُوءًا فَسَمُّوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِندِ اللَّهِ مُرَكَّةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ٢١ ﴾^(٢)

وفي الدعوه إلى الإسلام كان السلام أيضاً، ففي سورة السحل

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بَالِغًا هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَغْنِي عَنْكَ صُلًّا عَنْ سَبِيلِهِ ۝ وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَمْرِ الْمُتَّقِينَ ۝ ٢٢ ﴾^(٣)

وهي لحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله - ﷺ - « لا تدخلوا لجنة حتى يؤمنوا، ولا يؤمنوا حتى يحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم ».

إن المسلم الحق هو الإنسان المسالم في عقيدته، وفي دعوته وخلقه وسلوكه، ولسانه وموقعه وسائر علاقاته، إنه الأمن متحرراً، إنه روضة سلام يفيء إليها الخائفون حتى وإن كانوا على غير دينه، ذلك قول الله - سبحانه - في سورة التوبة

(١) الآية ٢٧ من سورة النور.

(٢) من لاية ٦١ من سورة النور.

(٣) من لاية ١٢٥ من سورة السحل.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَحَارَكَ فَاحْزَرُهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تُنْعَهُ
مِنْهُ، ذَٰلِكَ بَأْهُمْ يَوْمٌ لَا يَعلَمُونَ ۝ ﴾^(١)

ومن عناصر السلام الاجتماعي لدى المسلمين أن الإسلام لا يكره الناس على
الدخول في عقيدته ذلك قول الله - تعالى -

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَتَيَّنَ الرُّسُلُ مِنِّي فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ
بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾^(٢)

وإذا كان القرآن قد استبعد الإكراه، والقسر في نشر العقيدة الإسلامية، لم
يكن للأمة الإسلامية ما يدعوها إلى الاعتداء على الغير، وحق للمسلمين أن يدافعوا
عن هذه العقيدة إذا وقع الاعتداء عليها أو عليهم بسببها، وهذا حق مقرر كرامة
تحفظ به ذاتها وكيانها، فالمسلمون بمقتضى نصوص الإسلام مصالبون بعدم
الاعتداء، وبالمساهمة في إقامة لسلام، و استقراره واستمراره، وصون لعلاقات
بعداً عن القلق والاضطراب.

نجد هذه لمبادئ مقررة في قول الله - تعالى -

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أُو
تَرَوْهُمْ وَتُقْطِلُوهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ ﴾^(٣)

(١) الآية ٦ من سورة لقوة.

(٢) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٨ من سورة لمتحنة.

٣- الإسلام والسلام مع النفس ومع الناس

وقوله - سبحانه وتعالى -

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَحْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَشِيرٌ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وقول الله - تعالى

﴿ وَإِنْ جَحَحُوا لِّلْسَلَامِ فَأَجْجَحْ لَهُا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢)

وبهذه الأسلوب الحكيم، الذي هو تنزيل من رب العالمين، يكون المسلمون مأمورين من الله بالتواضع، وتنمية العلاقات الإنسانية، واستدامتها والارتقاء بها، إن الإسلام هو السلام، وبكفي أن السلام من أسماء الله الحسنى فكونوا أيها المسلمون سلاماً مع الله، ومع أنفسكم، ومع الناس أجمعين، تعودوا أمةً واحدة موحدة، يحوطكم الإسلام بالسلام

﴿ وَبِاللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

(١) الآية ٨ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦١ من سورة الأنفال.

(٣) من الآية ٨ من سورة المنافقون.

دعائم الوحدة بين المسلمين

أرأيت إلى أمة اصطفاها الله وحعلها شاهدة على غيرها من الأمم، ذلك قوله تعالى في سورة البقرة

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۝ ^(١)﴾

أرأيت إلى أمة قام دينها الإسلام على قواعد واحدة، لا تختلف في مشرق عنها في مغرب، ولا شمال عن جنوب، أركان ثابتة جامعة مجمعة تلك هي التي أشار إليها الحديث «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً» متفق عليه

مفتاح الوحدة، الإيمان بالله ورسوله، تتردد على شفاههم ومن شغاف قلوبهم كلمة التوحيد، ينخلع بها ولها وسواس الشيطان لخناس من الجنة والناس، فتصفوا الأئدة وتنتهي، لنفوس عن الغي والإثم، ومتى انتهت إلى ذلك كانت الحكمة ملء القلوب وغذاء الروح، ها هي النفوس قد أدبت لربها بالصفاء له والإيمان به فقامت تطهر الحسد والثوب

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۖ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ ^(٢)﴾

(١) من لاية ١٤٣ من سورة البقرة.

(٢) الأبتان ٤ وه من سورة المدثر.

الدعوة إلى الله

ونسبغ لوضوء كما أمر الله مستبشرة بالوقوف بين يدي به استحابة لده
 ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَغْنَمُ نَكَتَ نَقُومِ أَتَى مِنْ ثَلَاثِي اللَّيْلِ وَبَصَفَهُ وَنُسْنَهُ وَطَهْرَهُ مِنْ الَّذِينَ
 مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَمَّا لَمْ تَحْصُوهُ فَتَأْتِ عَلَيْكُمْ فَأَقْرَأُوا مَا نَسِيتُمْ
 مِنْ نَقْرَاءَاتٍ عَلِيمٌ لَمْ يَسْأَلْكُمْ مِنْكُمْ مَرَضَى وَأَحْرُورٌ يَصْرِيحُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَنَعُونَ
 مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَحْرُورٌ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا نَسِيتُمْ مِنْهُ وَأَقِيمُوا
 الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ
 تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَخْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ (١)

ها هي حاشية، راحة، ساحة لربها ذاكرة، ومن ذنوبها مستغفرة، ولآيات ربها
 هي قرآنه تالية، حتى إذا فرغت من صلاتها كانت بصلاتها بالناس برًا، وعطاءً،
 وسخاءً، مزيةً، متصدقةً، رغبةً إلى الله عن المال والولد، مستذكراً أنها فتنة في
 الحياة، مبخة مجبنة، تعطي لمال على حبه مسكيناً ویتیمًا، وأسيراً

﴿ إِنَّمَا نَطْبَعُكُمْ لَوْحَهُ اللَّهُ لَا يُرِيدُ بِكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝ ﴾ (٢)

طاعة لربها وشكرًا على نعمائه، عارفة أن هذا لمال ودبغة، أو عارئة، لن يأخذ
 منه الإنسان درهمًا ولا دينارًا حين يحين أجله ويودع في رمسه.

(١) الآية ٢٠ من سورة المومن.

(٢) الآية ٩ من سورة الإنسان

دعائم الوحدة بين المسلمين

ثم ها هي النفس، المسلمة المطمئنة، تتشبه بالملائكة، فتصوم شهرها أملاً في لقوى

﴿بِأَنَّهُمْ لَبِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِعَنَكُم مَّن تَقُولُونَ ١٨٢﴾ (١)

تذكره حاجة لفقر، والمسكين ذي لخرمة، فتسرع إليه غوثاً بم حفظ حياته
و يعينه كذل على صاعه ربه، لأن لإنسن خ للإنسان ورب بني الإنسان واحد، هو
الذي خلق فسوى وقدر فهدى وفصل بعضهم على بعض في الرزق ووعدهم لسياد
والتعاون، لتواصل بهم الحباة إلى حينها الموقوت، ولو أغناهم جميعاً، لطعوا وبغوا
وما استقامت بهم أو لهم دنياهم

﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِٖ لَكَنَافٍ ١٨٣﴾ (٢)

ومن هنا كان التفاخر في الرزق، فمن أحسر وشكر، دام الله عليه نعمته ومن
طغى وبغى وقل إنما أوتيته على علم عندي، خسف به وبداره الأرض وأصبح
الدين تمسوا مكانه أو مكانته بالأمس يقولون ويكن الله بسط الرزق لمن يشاء من
عباده ويقدر لولا أن من الله عينا لخسف بها ويكأنه لا يفلح الكافرون نعم به، فكان
صفاء النفس وبقاء القلب وطهره المذل، فقد أفلح من ركن نفسه بالصلاه والصوم
وماله بالزكاة، ثم هذه الرحلة إلى مؤتمر الحج الأكبر فيه يجتمع المسلمون من كل
صوب بتدفقون محرمين مجردين من زينة الدي قد ندرو أنفسهم لصاعة ربهم.

(١) الآية ١٨٢ من سورة بقره

(٢) الآية ٦ و ٧ من سورة لق.

الدعوة إلى الله

فاعتزلوا كل مرغوب وركبوا لصعب، راجين رحمة ربهم، حائفين عذبه، حاجين ومعتمرين، رجالاً وساءاً، شياً وشيئاً، حتى جمعهم الله يوم عرفة. كن ذلك المؤتمر قبل أن يعرف الإنسان المؤتمرات، مؤتمر أمة تدب لربها بالطاعة، وتلي داعية شاكره، مشاوره في أمور لدير ولدي، عالمة أن صلاح هذه داك. ثم يسابون بين لمشعر ولكل مكان ذكره وعمه، حتى إذا أتموا نسكهم طافوا حول الكعبة التي شرفها الله وجعلها أول بيت وضع للناس يصلهم بربهم ويجمعهم خمس مرات مفروضة في اليوم والليلة.

هر ترى لأمة مثل هذه الدعائم؟ إنها صنع به الذي أتقن كل شيء.

ألا (إن به لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فعودوا أنها المسلمون إلى دعائم الإسلام فأقيموه في أنفسكم وفي بيوتكم وفي مجتمعاتكم، عودوا إلى بنيانكم فأقيموه، فهو ذلك تبنيكم وخصائصكم التي بها تعرفون وعلى غيركم من الأمم ترتفعون. فما كان الإسلام أسماً تتسمون بها، وإنما ديناً تعتقونه وشرعاً تتحاكمون إليها، فيستقر بينكم لعدل، وتجب الطلما، وتتوصل الشعوب، وتتضوي تحت لواء القرآن، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الذي ينصر من يشاء.

حرص الإسلام على طهر الغاية

وشرف الوسيلة

العمل الصالح الذي تردد ذكره في القرآن الكريم قريناً للإيمان، وتالياً له إنسدة بهما، ودعوة إلى اعتنقهما، وهو عمل بلدين أو للدن، صلح به أمر القئم به وامتد أثره إلى محتتمعه، فلا يذهب أحد إلى قصره على العبادات فحسب.

برشدنا إلى هذا الحديث، الذي رواه الطبراني في معجمه عن القيس بن عجرة - رضي الله عنه - قال مر على رسول الله - ﷺ - رجل فرأى أصحاب رسول الله - ﷺ - من جلده وبشاطه، فقالوا يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله - ﷺ - : إن كان خرج يسعى على ولده صغراً فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان».

ولا ينبغي أن بأنف لمسلم عن أي عمل مشروع يرتزق منه، ذلك أدب الإسلام الذي أرشد إليه الرسول - ﷺ - في حديث أبي هريرة الذي رواه أحمد في مسنده «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حمله فيذهب إلى الجبل فيحتطب ثم يأتي به يحمله على ظهره فيبيعه، فيأكل، خير له من أن يسأل الناس، ولأن يأخذ ترباً فيجعله في فيه خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه».

هذا هو العمل، والحث عليه في الإسلام، شرف أي شرف، وقوة للفرد وللأمة، العمل المشروع الذي يخدم الاقتصاد ويثري الأمة والدولة، وليس من الأعمال المشروعة حتراف لعب القمار ولا التجارة في الخمر والمخدرات وكافة المسكرات والمحرمات ولا صناعتها ولا تيسير الاتجار فيها.

الدعوة إلى الله

ولنعلم أن من محاسن لإسلام - عقيدة وشريعة - أن الله - سبحانه - ما حرم قولاً أو فعلاً إلا عوض خيراً منه. فقد حرم الربا وأحل البيع والشراء تجارة رابحة، وحرم القمار، وأبدل به المسابقة النافعة في الدين والدنيا، بالخيل والإبل والسهام، وحرم الكذب وشهادة الزور، واستبدل به الصدق الذي يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الحنة، فالعمل وسيلة لجمع المال بعبء إنفاقه، أو استثماره فيما أحل الله.

ولابد أن تكون هذه الوسيلة - لئلا وجمعه - مسروعة، ومن ثم فإن من استحل الربا باسم الفائدة أو لعائد، كان كسبه هذا حراماً. ومن سحر الرقص باسم الفن، كان كسبه حراماً. ومن استحل الخمر باسم لمشروبات الروحية أو بأي اسم مما أطلق عليها في عصرنا هذا، لم يخرجه هذا من أنه قد ارتكب منكراً من لقول وزوراً، وزين كبيرة من الكبائر، فهذا حديث أبي مالك الأشعري

«شرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤوسهم بالمعارف والقيظ يحسف به بهم الأرض ويجعل منهم القردة و الحناير»^(١)

ولا يرضى به ولا يرضى رسوله - ﷺ - أبداً أن يتخذ الحرام وسيلة إلى غاية محمودة. لأن الإسلام يحرص على شرف الغاية وطهر الوسيلة معاً ولا يقر الإسلام أبداً ذلك المبدأ الذي ساد في هذا العصر (إن الغاية تدر الوسيلة)، وهذا غير صحيح في الإسلام؛ فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. يدل على هذا ما جاء في السنة، فعن جابر أنه سمع رسول الله - ﷺ - في عام الفتح يقول وهو بمكة

«إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»^(٢)

(١) رواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه.

(٢) كما جاء في صحيح البخاري ومسلم وغيرهم.

حرص الإسلام على طهر الغاية وشرف الوسيلة

فقل يا رسول الله: أرأيت شحوم الميتة فإنها تطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟.

فقل: لا، هو حرام، ثم قل قاتل به اليهود حرمت عليهم لشحوم، فحموه فبعوه، وأكلو ثمنه»

ومن هنا كانت وصايا الإسلام للمسلمين أن يفعلوا على العمل المشروع، يكسبون به أرزاقهم، ويستثمرون فيه أموالهم وخبرتهم، فطلب الحلال فربضة على كل مسم. لأنه الوسيلة المثلى والمقبولة من الله - سبحانه - إلى الطاعات. فاحاح إ. لم تكن نفقته من حلال لم يفعل الله ححته، والزكاة إذا لم تكن من مال حلال لم يقلها الله - سبحانه - ولا بركة في المال لحرام مهما كثر.

وقد قيل لبنتها لم نر ولم تصدق، فهؤلاء الذين يصنعون لخمور ويأجرون فيها وإخوانهم الذين يجلبون المخدرات ويروجونها ويتعاملون بها بيعاً وشرعاً، وعاصياً، كل أولئك كسبهم حرم لا يقبل به لهم صوماً ولا ركاه ولا حلاً وكل عمل مردود عليهم ذلك لأنهم يسعون في الأرض فساداً بعمهم هذا، حتى يسلبوا الناس أموالهم وصحتهم

إن عى المسلمين أن يسغو الكسب الحلال لأنه الوسيلة إلى طاعة الله ورسوله وصدق إذ يقول

﴿ وَتَرُ عَنِهَا سَأَ أَبَى ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ

يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۚ ۝ (١)

(١) الآية ٢٧ من سورة المائدة

الإسلام دين الإنسانية

بتساءل بعض الناس عن أسباب ظاهرة اعتناق كبار المفكرين في الغرب الإسلام ديناً، بالرغم من طغيان الحياة المادية وتطورها إلى الرفاهية التي تفرق الناس في الملذات والشهوات وتصرفهم عن اتنين، فضلاً عن المقارنة بين الأديان ولكن أولئك الذين ارتفعت بهم علوم العصر وثقافته، ووفرت لهم من زينة الحياة وعمها ما لم يتوفر للأجيل الي سبقت كار منهم من فكر وفدر أن الإنسان كما هو في حاجة إلى غذاء بدن لينمو جسمه ويستقيم عوده، في حاجة كذلك إلى ما يمي روحه ويرقى بها إلى مدارج الأمن والأمان، وفي حاجة إلى أن يعيش في مجتمع ارتقى سلوكه واستنار فكره وارتفع فوق السوءات والسيئات، فسارته الرحمة، لأنه صار مجتمعاً إنسانياً، ارتقت به إنسانيته عن طباع اجتمع الحيواني الذي تسوده لقوة والقسوة والخدر والخيابة.

درس أولئك الإسلام في مصادره دراسة المنقب عن كبر يبتغيه أو عن هدف يتغياه، فوجدوا القرآن يقول عن رسول الله - ﷺ - وعن أصحابه - رضي الله عنهم

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا يَسِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي أَنْتَوْرَةٍ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِيجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْنُهُ فَكَرَرَهُ فَأَسْتَعِظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الرُّعَاةَ لِيعِيطَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١)

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح.

فعرّفوا من هذا أن هدف الإسلام التراحم والتخفي ولتعاون في أداء حق الله في العبادة، و عترافاً بحق الناس في حياة في أمر وسلام، ثم وحدوا الله يصف رسالة الإسلام بالرحمة فيقول في القرآن

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١)

فالإسلام رحمة للناس جميعاً، تصلح به المجتمعات، فيتعاون الرئيس والمرؤوس والجار مع جاره والنائع والمشتري والمعلم والصاب والزارع والصانع، وعندما تحل الرحمة بين الأمم يسودها السلام.

وحد أولئك أن الإسلام مكن الإنسان من الوجود، فأقام حياته على ضوابط لقوة والاستقلالية والذاتية حتى يعمل وينتج ويعمر هذه الحياة بماله وأعماله وأجياله، ومن هنا، وإلى هذه لغاية، ألغى الإسلام الوساطة بين الإنسان وربه.

فيقول الله في القرآن لرسوله ﷺ

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَنَهُمُ الشُّرُوكَ ﴾^(٢)

(١) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء

(٢) الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

فليس بين مسلم وربه وساطة ولا حجاب، وهذا هو المسلم في صوته يقرأ سورة الفاتحة وفيها توجه مباشرة إلى ربه كما علمه، فيقول في هذه السورة

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۚ هِدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾^(١)

ه هو لإسلام قد رفع كل الحجب، وما على المسلم إلا أن يتوصلاً ويدخل في الصلاة بين يدي ربه، وفيها وبها يصفر قلبه وتهادى نفسه ويبعد عنها لقلق والتوتر العصبي لأنه، سنسلم وسلم نفسه إلى ربه ثم ها هو الإسلام يخاطب العقل الذي فضل به الإنسان على غبره من المخلوقات، وبه كان سيداً في هذه الحياة، فكان على هذا العقل أن يحرم إنسانية الإنسان، دون نظر إلى لون أو حس أو عني أو فقير، وفي هذا قال الله في القرآن

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَخَلَقَ مِنْ رُوحِهَا نَفْسًا مِّنْهَا رَحَالًا كَثِيرًا وَدَسَاءً ۚ وَتَقُوا اللَّهَ ۚ تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾^(٢)

ونادى رسول الله - ﷺ - في المسلمين يوم حجة الوداع

«الذي هو سوسية كئسان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»، ذلك حكم الإسلام ونداؤه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، بينما

(١) آيات ٥-٧ من سورة الفاتحة

(٢) آية ١ من سورة النساء

لا يزال الناس في الأمم التي غمرتها المادة وجرفتها الرهاية يفرقون بين بني الإنسان ويقسمون المجتمع الإنساني إلى فئات وطبقات يوقدون العداوة فيما بينها، ويثيرون هؤلاء على أولئك فتشتعل لحروب وتسفل الدماء التي صنها الله.

نعم.

من أجل العقيدة لصحيحة لإسلام ومن أجل تشريعه لذي حكم فأصلح وقام في ضمه المجتمع الإسلامي الإنساني يطمح الأمن وإخاء والسلام والتعاون والمساواة وأخلاق الإسلام التي تصوع المسم الفرد، كما تصوع الأمة الإسلامية نموذجاً فريداً يقتدى به، من أجل الإسلام كله عقيدة وشريعة وأخلاقاً كان دخول الناس في دين الله أفواجا من كل صوب وحذب ومن الغرب ومن الشرق ومن رباب الفكر وحهبادة العلوم، فالإسلام دين الإنسانية وما على المسلمين إلا أن يتمسكوا بهذا الدين، فقد أرفعت مدن المساجد في أرض الله على أساع مداها، ذلك الفضل من الله القائل

﴿ فَمَنْ يُرِدْ لَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَبَقًا حَرَمًا كَأَنَّمَا بَصُرَتْ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ ﴾ (١)

(١) الآية ١٢٥ من سورة الأنعام.

العقيدة وأثرها في الإصلاح

العقيدة قوة تدفع صاحبها إلى غابته وتحمّله غير هيب مقدماً لا ينالي بالعقبات حتى يصل إلى ما ابتغاه، فهي بوجه عام أساس كل صلاح. والعقيدة الدينية أصل الإيمان بل هي ذات الإيمان، فمن تحدث بلسانه دون أن يوافق قوله ما في قلبه لم يكن مؤمناً ومن ساير الناس مسايره صاهرية فيما يقوون كان منافقاً، وها هو لقرن يصف هؤلاء المنافقين الذين ننصق أقواهم بما ليس في قلوبهم فيقول الله في سورة المنافقون

﴿ إِذْ جَاءَكَ الْمُسْفِقُونَ قَالُوا شَهِدْ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ * وَإِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وفي سورة البقرة قول الله

﴿ وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَقُولُ ۖ مَا بَالَهُ وَلَيُّومٍ لَّا جِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

هذه العقيدة هي التي تحدث بها رسول الله - ﷺ - يوم أن اجتمع قومه وقالوا لعمه أبي طالب "إن أراد ابن أخيك مالأ جمعنا له ما يعنيه وإن أراد حاهاً أو

(١) الايات ١ و ٢ من سورة المنافقون

(٢) الآية ٨ من سورة البقرة

الدعوة إلى الله

مَكَّ مَلَكْنَاهُ عَيْنًا" فمدا كان جواب الرسول - ﷺ - " قل كلمته الخالدة عن بصر وعقيدة برسائله " والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك دونه ما تركته" (١)
وصاحب العقيدة الحقة لا يقبل بها بدلاً، فلا يبيعها بمال، وه هو القرار بخبرنا عن موقف الرسول - ﷺ - حين ساومه قومه على أن يعبد الهتهم شهراً ويعبدوا إلهه شهراً.

ذلك ما جاء في سورة الكافرون

﴿ قُلْ يَتُوبُ الْكَافِرُونَ : لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ : وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُوا مَا أَعْبُدُ :
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ : وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُوا مَا أَعْبُدُ ﴾ لَكُمْ دِينُكُمُ وَلِي دِينُ ﴿ (٢)

ففي ذلك إصرار على العقيدة ورد فاطع حاسم ينهي المساومة وينهي عن الصعف والتخاذل.

هاهو الرسول - ﷺ - بمصي قدره لرسالة في مكة على مدى ثلاثة عشر عاماً يؤصل هذه العقيدة وينتجها ويمسها في قلوب المؤمنين، ويجادل عنها ويكشف نورها وحقيقتها أمام أولئك العقلي المنكرين مجادلاً بالتي هي أحسن، مخاطباً العقول والأفئدة موجهاً النظر إلى ملكوت لسموات والأرض، مثيراً لفكر والعواطف إلى ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من عبودية لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، مبرزاً للناس ما غفوا عنه من موطن لعبرة و لعظة وعظمة الخلق الدالة على قدرة الخلق ووحدانيته

(١) رواه ابن اسحاق في سيرته.

(٢) سورة الكافرون.

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُتَصَرُّونَ ﴾^(١)

لم يشتغل النبي ﷺ أيضاً بمفروع الدين، ولم يهرص عليه صنف لإرساء الأساس الصالح في العقيدة الصحيحة، كل هذا يدلنا على أن تأسيس لعقيدة في المحل الأول من كل دعوة إصلاح، فهي إذا أرسيت التحمت بقلوب وصوعتها لجوارح فكان السير إلى الخير دور رياء أو بظاهر، يطلق السائر بالقول، لصيب في غير تصنع أو بفق أو هرب من الحق إن العقيدة الرسخة تصنع الخير وتدفع إليه وتبعد عن الشر والهكة، ومن هذا كان قول لرسول الكريم - ﷺ - "لا يربي لربي حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن".^(٢)

أي أن العقيدة ستتبع الفضيلة ولا تتصور معها الجريمة ولا الفسوق ولا العصيان، وإن الجريمة حين ترتكب إنما ترتكب في وقت ارتفعت فيه لعقيدة والفضيلة وحلت محلها الرذيلة والأفكار الضالة والروايات لصائته.

هذا هو لإسلام الذي ربط بين لعقيدة و لأخلاق الكريمة لقويمة لتي تلمر صاحبها في جميع لطروف ومع كل الذنوب بالتعامل الحسن لصيب، فلا يكون التعامس حسب المنفعة والمرتبة والأقدار، بل إن لعقيدة وأخلاق القويم هما الموحهران لإنسان إلى العدل والمساواة وليست لعقيدة فردية فحسب وإنما تكون كذلك فريضة جماعية بل واجتماعية تقوم على القدوة الرشيدة والأسوة الحسنة. إن تدبير أمور الجماعة سواء كانت أسرة أو شعباً أو أمة يقتضي دائماً رسوخ العقيدة وقيامها على الحق و العدل إن الحكم بلا عقيدة كاسفهر بلا زاد.

(١) الآية ٢١ من سورة انذريات

(٢) رواه النسائي عن أبي هريرة

الدعوة إلى الله

إن العقيدة الدينية هي الدافع الأول لما بعدها من العقائد في الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد، لأنها الوسيلة إلى الاستقرار النفسي. ومن حرم ثبات العقيدة الدينية واستقرارها عاش سقيم الفكر مرعزع النفس لا يعمل الخير ولا يدل عليه، بل ولا يحمل الناس على الخير لأن هاد الشيء لا يعطيه.

فالإيمان بالله ورسوله هو الذي يعلم الإيمان بحقوق الوطن والمواطنين.

وفي كتاب الله القدوة وفي رسوله - ﷺ - الأسوة، فلنصح عقيدتنا ونثبتها ولنؤمن بإيمان الوثق بربه وبوعده

﴿ مَّنْ حُبَّ أَمُصْطَرٍّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ أَسْوَءَ وَيَجْعَلُكُمْ حُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾^(١)

إنه الله سبحانه الذي قرأ في سورة يونس

﴿ فَوَلَّا كَانَتْ قَرْيَةً ۖ مَتَّ فَنَمَعَهَا إِيْمَهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ نَمَاءَ مَتَّ كَشَفَتْ عَنْهُمْ عَذَابَ الْحِزْبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝ ﴾^(٢)

وليؤمن قادة الأمة وزعمائها بأن الإيمان الصحيح والعقيدة الصافية هي الوسيلة إلى اصلاح والفلاح وصدق الله في قوله في سورة الرعد

(١) الآية ٦٢ من سورة النمل.

(٢) الآية ٩٨ من سورة يونس

العقيدة وأثرها في الإصلاح

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ يَمِينِهِ وَحَافِظَاتٌ مِنْ أَسْمَائِهِ ۚ يَتَوَقَّعُ اللَّهُ لَا يُغَيَّرُ
مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ
مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلٍ ۚ ﴾ (١)

ولا تغيير لما في النفس إلا بصحة العقيدة ونفاذ البصيرة وعقد النية والعزيمة
على الإصلاح والإصلاح فنأخذ برمى أنفسنا ولننهيها عن غيها فإن ذلك عين
الحكمة والصواب.

(١) الآية ١١ من سورة الرعد.

الأمومة في الإسلام

كرم به الإنسان ورباه على الرقة والرحمة و لمودة لخير الجماعة الإنسانية وعني الإسلام في تشريعه ببناء أسرة الإنسان، فقد شأها على أحكم نظم وبين لكل فرد فيها حقوقه ووجباته حتى لا تعط الحقوق وتهمل الواجبات. وقد حرص الإسلام في أحكامه على إبراز حق الوالدين والذكر الداب بحقوقهما على أولادهما بل إن به سبحانه في وصيه جعل بر الوالدين والإحسان إليهما قرين لدعوة في عبادته وحده، محذراً من الإساءة إليهما بأدنى إساءة، فقال سبحانه

﴿ وَقَصَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَآلَؤَلَدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يَتَلَعَّنَ عَبْدُكَ الْكَاثِرَ ۚ حَدَّهُمْ أَوْ كَلَاهُمْ ۚ فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أَلْفٌ وَلَا تَنْهَهُمْ ۚ وَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا كَرِيمًا ۚ وَخَفِصْ لَهُمَا حَنَاحَ الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ۚ ۝ تَكْزِمُ ۚ عَظْمُ بِي فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنْ تَكُونُوا صَاحِبِينَ فَبِهِ ۚ كَانَ لِلْأَوَّيْسِ عَفْوَ ۚ ۝ (١)

بل إن لاختلاف هي الدين لس مبرراً بعدم لإحسان إلى الوالدين في نصر الإسلام ﴿ وَفِي حَهْدِكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا يَسْنُ لَكَ بِهِ عَنَّمْ ۚ فَلَا تُطْعُهُمْ ۚ وَصَاحَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَدَّبَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِيَّيْ مَرْجِعُكُمْ ۚ وَتُسْئَلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ ۝ (٢)

(١) الآيات ٢٣ ٢٥ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ١٥ من سورة لقمن.

الدعوة إلى الله

وها هي أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضى الله عنهما - تقول "قدمت عليّ أمي وهي مشركة فاستفتيت رسول الله - ﷺ - ففت قدمت عليّ أمي وهي راغبة (تعي تسأل الإحسان إليها) أفأصبر أمي؟ قال "نعم صلي أمي"^(١)

هذه عناية الإسلام بأساس الأسرة الإنسانية - الوالدين - وهذه لصحابة الحليّة ذاب انطاقير يستفتي رسول الله - ﷺ - في البر والإحسان إلى أمها المشركة الراجعة في الإسلام، والراجعة فيما عند انتهت هذه ترحو عطاءها وإحسانها، فأجابها - ﷺ - "صلي أمك".

بهذا ارتفع الإسلام بالأم فوق اختلاف العفيدة تقديراً لأمويتها لأن الأم أصل، وهذا الصحابي الذي جاء إلى الرسول الكريم يسأله "ب رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك"^(٢).

قال العلماء مقنضه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر لمسقة الحمل ثم لوضع ثم الإرضع، فهذه لثلاثة تنفرد بها الأم ونشفي ثم تشارك لأب في التربية وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قول الله تعالى:

﴿وَإِنْ حَٰثَرَكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ وَصَٰحِبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ﴾^(٣)

(١) روه البخاري ومسلم.

(٢) روه البخاري ومسلم.

(٣) الآية ١٥ من سورة لقمن.

الأموعة في الإسلام

فقد سوى به بين الوالدين في الوصاية بهما وحص الأم بأمور ثلاثة - بياناً لزيادة فضلها ودعوة إلى اختصاصها بفصل من المحبة والشفقة. إذ قد وصى به الرسول - ﷺ - ثلاث مرات، فلها على هذا ثلاثة أرباع البر، وتقدم هي على الأب عند الرحمة. وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأم بفصل في البر على الأب، من حديث عائشة، قالت "سئلت النبي - ﷺ - أي لناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: زوجها، قلت: فعلى الرجل؟ قال: أمه" (١).

وهي الجانب الآخر المقابل للبر وإحسان، ترى الإسلام بنذر ويحذر من عقوق الوالدين، فقد حانت أحاديث الرسول - ﷺ - منذرة عاق ولديه بالطرد من رحمة به، وإنه لا يسخر الحنة ولا يجد ريحها، بل إن من يؤذي ولديه ويخالفهم بعجز به العقاب بمثله في الدنيا فضلاً عن حساسه وجزائه في الآخرة. يؤكد هذا قول الصادق الأمين "كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق لوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه قبل الممات" (٢).

أي أن مخالفة الوالدين المؤدية إلى سخطهما توقع بالعاق عاقبة في حياته عملاً من أولاده.

وقد قبح الرسول إيذاء الأم ومخالفتها وعدم الإحسان إليها فقال "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال" (٣).

(١) أخرجه أحمد والنسائي وصححه الحاكم.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ٢٣٠ من كتاب الأدب.

(٣) الترغيب والترهيب لمندري ج ٢ ص ٢٣١، ط الحلبي.

كما حفظ لإسلام كرامة لو لدين ووصى الأولاد بذلك، وفي هذا يقول لرسول الله - ﷺ - "إن من أكبر الكبائر أن يسب لرحل ولديه، قيل يا رسول الله وكيف يسب لرحل ولديه؟ قال يسب ارجل أب الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه" (١) فقد حرّم الرسول بهذا الحديث كل فعل أو قول يؤدي إلى إهانة، ولو لدين، وهذا أصل من أسس الذرائع، وإن كل فعل أو قول يؤدي إلى محرم يكون محرماً، وبهذا يجب ألا يقول لولد شيئاً من يسب به غيره فيضطر إلى سماع ضد ما يقول بنفس كيله وألفاظه.

قال الفقهاء (٢) "إن من الإحسان لوالدين صاعتهما في المباحات، وستحسن هي ثمر الصاعات المندوبة، ومن هذا أمر الجهد الكفاية والإجابة على نداء الأم والاستجابة إليها ولو كان الولد هي الصلاة إذا أمكن إعادتها في وقتها والشواهد على هذا كثيرة من أقوال الرسول - ﷺ -" (٣).

وها هو لقران لكريم سبيء لإنسان كيف أنبته لله في بطن أمه

﴿ تَمْ خَلَّاهُ نَظْفَةً فِي فََرْ مَكِينٍ ۖ ثُمَّ حَلَقَ النَّظْفَةَ عِقَّةً وَخَنَقَ النَّعْلَةَ مِصْعَةً فَخَنَقَ الْمِصْعَةَ عَصْماً فَكَسَوَا كَعَصْمَ لَحْماً ثُمَّ نَسَّاهُ حَلَقًا ءَاخَرَ ۖ فَنَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۖ ﴾ (٤)

(١) لمرجع السابق ص ٢٢٤.

(٢) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٦٤.

(٣) لمرجع السابق ج ١ ص ٢٤٠.

(٤) الآيتن ١٣ و ١٤ من سورة المؤمنون

« حَقَّقْكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَةٍ ثُمَّ حَقَّلْ مِنْهَا رَوْحَهَا وَأَرْزَلْ كُفْرَ مِنَ الْأَنْعَمِ ثَمِينَةَ
رُوحٍ حَلَفَكُمْ فِي نَطْوِ أُمِّهِتِكُمْ حَقًّا مِنْ بَعْدِ حَقِّي فِي طُمُئْتِ ثَلَاثٍ دَلَّكُمْ
أَنَّ رَبُّكُمْ لَهُ أَمْنٌ لَا يَهْ الْأَ هُوَ فَأَيُّ تُصَرِّفُونَ » ^(١)

« وَوَضَّيْتُ الْإِنْسَانَ بِوَلَدِيهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ
وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى يَدَّ بَلَغَ أَشُدَّهُ وَنَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْرِعْني نَنْ
شُكْرَ عَمَلِكَ لَتَنِي أَعْمَتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي
فِي دُرَيْتِي إِنْ شِئْتَ إِنَّيْتُ وَإِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ » ^(٢)

هذه الأم تحمل الإنسان جسداً يتربى في بطنها وبين أحشائها، ويمر بأصوار
لخلق سيئ، رادها الله - سبحانه - حملته في مشقه وبمحبة سعيدة بهذا الحمل
تشقى به وهي راضية قريرة لعين شديدة حفظ عليه، تبغي تمام الحمل وكمال له لا
نبالي بئوجه وألامه. والإسلام في أحكامه التشريعية يقوي من عزميتها ويشد
من أزمها مدة حملها، فبخفف عنها في العبادات إذ يبيع لها الفطر في شهر
رمضان عوناً لها على مشقات الحمل، ومداداً لها بغذائه، وبعد الولادة أبضاً
رخص بها الفطر في شهر رمضان متى خفت تضرراً على نفسها وولدها أو على
نفسها فقط رعية لأموئتها وما تتحمل من مشاق وألام الحمل وجهد الإرضاع
والسهر على الوليد والقيام على شؤونه ولقد خففت عنها الشريعة أيضاً في

(١) الآية ٦ من سورة الرمر.

(٢) الآية ١٥ من سورة الأحقاف.

الدعوة إلى الله

الصلاة وشروطها فاعتبرتها من أصحاب الأعدار وأجرى عليها الفقهاء أحكام وصوء المعذور وصلاته اعتباراً لمتاع الحمل ومشقاته، وأنها قد تفوق غيرها من الأعدار ثم إن الله - سبحانه - كرم الأم، لحامل إذا طلقت فتوجب على مطلقها الإيفاق عليها نفقة شاملة للسكنى فقال

﴿ أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أَرْزَلًا حَمْلًا فَأُفِقُّوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾^(١)

قال القرطبي "لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقات والسكنى للحامل المطلقة ثلاثاً أو أقل منهن حتى تضع حملها"^(٢).
وإذا كانت الأم مطلقة ووضعت حملها فعلى مطلقها والد صفلها أجرة إرضاعها إياه

﴿ فَإِنْ رَضَعْنِ لَكُمْ فَنَاتُوهُنَّ أُحُوزَهُنَّ وَمِمَّا رَزَقْنَكُمْ يُعْرَفْنَ وَإِنْ غَاسَرْتُمُ فَسَرِّضُ لَهُنَّ أُخْرَى ﴾^(٣)

وذلك إجماع الفقهاء أما اختلافهم ففي استحقاق الأم المرضع أجرة الرضاع إذا كانت ما ترال زوجة لوالد الطفل، وأجاز الفقهاء جميعاً للأم المرضع طلب زيادة نفقتها أو أجرة الإرضاع للاستعانة على تعويض ما تستنفده الرضاغة من مادة

(١) من الآية ٦ من سورة الطلاق.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٨، ص ٢٣٣

(٣) من الآية ٦ من سورة طلاق.

جسمها، الأمر الذي قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى ضعف الأم، وهذا إذا لم تتعهد لمرصعة نفسها بغذاء ذاق تستعين به على هذا الجهد.

ثم الإرضاع في مدته المقررة شرعاً كما جاء في قوله تعالى

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ وِثْرًا وَلَا يُسْعَفُ أَوْ لَا تَصَارَ وَلِدَةً بَوْلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِدِهَا ۚ ۝ (١)

هو هو حق للأم أو هو واجب عليها؟ لفظ هذه الآية يحسم الوحدين، وعلى كليهما فقد أُنْطِ بها الشارع مباشرة هذه المهمة الأولية في بدء وليدها وتكوين جسده حتى يشب وينمو^(٢).

وقد قال لفقهاء إن الرضاع لازم على الأم حال الزوجية لأنه عرف صار كالشرط، ويزمها ذلك دينه وقضاء إذا لم يقبل الولد غير ثديها، أو لم يكن للأب ولا لصغير مال باعتبار ذلك حال ضرورة، سواء أكانت زوجة لأبيه أو مفارقة له.

وفي تأصيل وجوب الرضاع على الأم أو عدم لزومه يقول ابن رشد "إن الفقهاء قد اختلفوا في حقوق الزوج على الزوجة بالرضع فقال قوم إن ذلك يجب على من اعتادت الإرضاع ولا يجب على الشريفة إلا إذا تعين عليها بأن كان الصفل لا يقبل ثدي غيرها وإن هذا هو مشهور قول مالك"^(٣).

(١) من الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.

(٢) حاشية ابن عابدين على شرح الدر المختار ج ٢ ص ٩٢١، وموهب الحليل ج ٤ ص ٢١٣ ٢١٤.

(٣) بداية لحتهد وبهية المقصد لابن رشد ج ٢ ص ٤٩، ط مصطفى الحسي.

وقال فريق آخر إن إرضاع المرأة ولدها واجب عيها على الإطلاق، ولم يوجب ذلك عيها فريق آخر على الإصلاق، وقال إن سبب اختلافهم هو اختلاف المذهب في تفسير قوله تعالى (و لو لدت يرضعن أولادهن) فمن قال إنها تتضمن حكم الرضاع بمعنى أنه واجب، أوجب الإرضاع على الوالدة على أساس أن هذه الآية من الأخبار التي مفهومها لأمر في صورة الخبر. ومن قال إنها تعد حكماً مجرداً فقط قل بعدم وجوب إرضاع على الوالدة لأنه لا يلبس على لوجوب. ومن قال بالعرف بين الوالدات بحسب مركزهن في المجتمع فقد اعترف في هذا الرأي لعرف والعدة.

بل إن فقه الشريعة، بل نصوصها الثابتة قطعاً، قد أكرست الموضع حق الأمومة لمن رضعته من غير والدها، وجعل الرضيع محرماً لها كبنها ولادة تماماً، وأولاده أحوته رضاعاً، يدل لذلك قول الله - تعالى - في آية المحرمات

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ لَئِي أَرْضَعْتُمْ وَأَخَوَتُكُمْ مِنَ الرِّضْعَةِ ﴾^(١)

سواء أكانت طئراً مستأجره للإرضاع أو كنت متبرعة به، فقد كتست بهذا البص الكريم حق الأمومة وصفاتها، وها هو القرآن قد سماها أمّاً إعزازاً وتكريماً لما قامت به مع أنها لم تلد رضيعها.

وكذلك كان الفقه الإسلامي مع الأم بعرف حقها ولو فوتت واجب إرضاعها ولدها، فأوجب على الأب أن يسأجر مرضعة للطفل عند أم احتفاءً بعاصفتها ونمكيناً لها.

(١) من الآية ٢٣ من سورة النساء

ولقد كانت الشريعة حفيطة على الأمومة حفية بها حين أساطت بها حق حضانة أولادهم سنينهم الأولى، وما دامت أهلاً للحضانة ولم تتزوج بغير أبيهم^(١). وها هي أم تحاكم مع مطلقها إلى رسول الله - ﷺ - في شأن ولدهما، فتقول "يا رسول الله، إن أبي هذا كان بطني له وعاء وحجري له حواء وثديي له سقاء وزعم أبوه أن يترعه مني، فقال - ﷺ - بئنا لحكم شرعي مطرد أنت أحق به من لم تنكحي - أي تتزوجي بآخر"^(٢). وأجمعت الأمة على هذا، وبذل لذلك ما شجر بين عمر بن الخطاب وامرأته حميلة بعد أن ختلفا في شأن ابنيهما عاصم، إن حاصمها عمر إلى أبي بكر ليأخذ عاصماً منها بقضائه، فقل أبو بكر "ريحها ومسها ومسحها خير له من الشهد عندك يا عمر". وكان هذا بمحضر الصحابة، ولم ينكر أحد منهم على أبي بكر قضاءه فكان إجماعاً.

أرأيت إلى هذا الوصف للأمومة في قول الحليفة الأول، وكف أبان - رضي الله عنه - أثر الأم على نفسية الطفل، وأن عطف الأم وحبها قد يكون له غذاء وشفاء - أي لرصاء نفسه بكف أمه وسعادته واستقراره في حرها، مما يريد في نموه ويشفيه من سقمه.

وعلى هذا لقضاء جرى رأي فقهاء الشريعة الإسلامية، لا يعلم بينهم خلاف في أحقية الأم الحضانة، لأن الصغار عاجزون عن مصالحهم، فكان إلى عيبرهم قضاؤها، وكانت الأمهات أحق وأولى بالحضنة لأنهن بالأطفال أشفق وعليهن أحنى وأصبر، وهذا عدل لتوزيع الأعباء والمسؤوليات بين الآباء والأمهات، فعلى كل

(١) المدونة ج ٥ ص ٤٣، ٤٤ والمعني لابن قدامة الحنبلي ج ٩ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ ورد المع د لابن القيم ج ٤ ص ٢٨١-٢٤١.

(٢) رو ه لإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو.

من المسؤوليات ما يواشم طبيعته فكأن على الآباء الإيفاق وعلى الأمهات الحضانة. وإذا قام بالأمر ماع من الحضانة أو تحلت عنها، فإن حق الحضانة ينتقل منها إلى أمها ثم إلى أم الأب ثم لأخت لابوين ثم الأخت لأم وهكذا كانت ولاية الحضانة مستفادة من جانب أم لكمال شفقتها على أولادها، وتتفرع بعدها لقرانتها لاكتسابهم هذه الشفقة باسبابهم إليها، إذ هم هريقها، كم يعبر الفقهاء.

وهذه الأمومة قد منحها ولاية لمطالبه بحقوق طفله من والده فلها بهذه الولاية اقتضاء نفقته والقيام على تدبير أمره من تعليم وعلاج وإصلاح صالما كان في بده وفي سن حضانة النساء التي تنتهي وفقاً للجري عليه قصونا بسبع سنوات للصبي، وإحدى عشرة سنة للصبي، وهي بياة أباؤها بها صاحب الشريعة - في فضله السالف، أو ما سنده في لعنا المعاصرة النباة القنوبية .

وأمومتها لا تختلف ولا تختلف بتعاير ديبها عن دين ولبدها، ير لها حق إرضاعه وحضانته وإن كانت عبر مسمه وهو مسلم لأن للأمومة فطرة لله لا تحقد على من حملته كره، بل هذه الفاسفة عن أمر الله المقررة لما بهى عنه لا تسقط أمومتها وحضانته لصلها طال لم تضبعه بفسقها أو يعتار فعلها المحرم. وأنى لأم أن يصيع معها ولدها إلا إن، نعر من لدس للأمومة وتفصى قبها من غلالنها، فلفطرة أن يرتفع لأم بولدها إلى الكمال ولا تهوي به إلى ما نره بقيصة ومذمة ونأمل له خيراً لم تله. ومن أجل هذا كانت وصاب الله هي قرانه بالوالدين وبأمر دور وصبيتها أو أحدهما بالولد، لأنه - سبحانه - طرهما على محبته وقد نه

ولذا، جرى القضاء وفقاً للفقهاء الحنفي على أن الحاضنة الذمية والمجوسية كالمسلمة لكل منهما حق حضانة ولدها المسلم ما لم يعقل الدين، إذ الحضانة منصف الشفقة، وهذه لا تختلف باختلاف الدين ولأمر أيضاً حق الادعاء بنسب

الأمومة في الإسلام

صلها إلى أبيه، والمناحة في ذلك لأن في ثبوت سببه صحيحاً صوتاً لسمعتها، فهو حق أصبر لها بوصفها أمّاً، فأمومة الكاح أشرف من أمومة لسفاح ولها فصلاً عن حقها، النيابة عن وليدها هي إثبات حقه في الانساب إلى أبيه كي لا يضيع، ويعير بها أو تعير به.

ولم يقف تقدير الشريعة للأمومة عند هذا الحد، بل إبه إذا أحرمت وحق عليها العقاب في حد شرعي أو تعزير، وكان في إنزاله بها إضراراً به أو بولده، وريدة في تعذيبها أوقفت الشريعة الغراء هذا الجزاء، حتى تؤدي رسالة الأمومة لتضع حمها وترضع وليدها إشباعاً لهذه العاطفة السامية^(١) فهذه لغمدية التي اقترنت الحبيبة، فمكنت غير ذي الحق من نفسها، واستقر في أحشائها الحنين ثمرة الخبيثة، وجاءت تبغي عقاب الدنيا، جاء تقرر في صراحة وإقدام ورباطة جأش أمام رسول الله - ﷺ - تقرر وتقرر أنها ارتكبت شيئاً إذ كانت عاقبة إثمها حمها المستقر هي بطنها، وتطب إقامة لحد عليها في إصرار الذنب لنادم العند إلى ربه، فقال لها رسول الله - ﷺ - صلوأب سه وسلامه عليه أرجعي حتى تضعي حملك. وبعد أن وضعت، جاءت تحمله مجددة إقرارها، مطهرة إصرارها على إمالة إثمها، ولقء ربها طاهرة مطهرة، فثَّار عليها الرسول بأن تعود حتى ترصعه ويستعني عنها ولما كان ذلك، عادت به، وفي يده تمرات بأكلاها، حانت مسبة إلى ربها، تستعجل حدها، عندئذ دفع الرسول - ﷺ - الطفل إلى من يكفله، وأمر بإقامه الحد عليها رجماً حتى أرهقت روحها، وصعدت إلى بارئها، نقية بريئة مغفوراً لها، كما قال رسول الله - ﷺ - في شأنها لقد تابت توبة لو ورعت على أهل السماوات والأرض لوسعتهن.

(١) بيل لأوطار للشوكاني ج ٧ ص ٩٢

وليست شفاعة الأمومة هي الحدود في هذا السطاق فقط، بل تسري الشفاعة لو سُرقت الحامل ما يوجب قطع يدها أو كانت ضمن قطاع الطريق وقصي عليها بالقطع أو القتل إعمالاً لحد الحراة

﴿ إِنَّمَا حَزَوْنَا لِدِينٍ تُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، أَنْ يُقَتَّلُوا، أَوْ يُصَلَّبُوا، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ جُلُوبٍ أَوْ يُقَوْا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥٤ ﴾ ^(١)

وإذا اقترفت الأم إثم شرب، لَحْمٍ وَهِيَ حَامِلٌ وَقَضَى بِجُلْدِهَا، وَجِبَ تَأْخِيرُ
إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهَا حَتَّى تَصْعَ حَمْلُهَا تَقْدِيرًا لِأُمُومَتِهَا، بَلْ إِنَّ الْأُمَّ النَّفْسَاءَ إِذَا
سَكَّرَ وَوَجِبَ عَلَيْهَا الْحَدُّ لَمْ يَقُمْ عَلَيْهَا الْحَدُّ حَتَّى تَبْرَأَ مِنْ نَفْسِهَا ^(٢)

ويظل قدر الأمومة ومقدارها مثالاً في العقوبات الإسلامية فإذا قذفت الأم الحمل أو لفساء إنساناً، ووجب عليها حد القذف، فإنه ^(٣) يوقف حتى تصع حملها أو تبرأ من نفاسها، تقديراً لما لاقت من مشاق في الحمل والوضع وحمايةً لهذا القرار المكين الذي خلقه الله حصناً يتربى فيه الجنين نطعة، ثم علقه، ثم عظاماً كساه الله لحماً، وكان إنساناً سوياً.

وهكذا، نستمر أحكم لشريعة العراء، في رعاية الأم، عرراً لأومنها متى
سنوجب عداً مؤثراً في داتها أو حسيها أو وليها، نقصي بأحير البقيد إذا

(١) الآية ٢٢ من سورة الحائدة.

(٢) المعنى لأن مقدمة الحسبى حـ ٩ ص ٣٤٩ في باب التعزير.

(٢) المرحم لسابق ج ١٠ ص ١٤٠ و ١٤١.

وجب قتلها قصاصاً وكانت حاملاً حتى تصع حملها، وتبرأ من نفاسها، سواء أكانت قصاصاً في النفس أم فيما دونها.

وبعد، فإن سه - سبحانه - منزل القرآن على نبي شريعة الإسلام - ﷺ -^(١) الذي قال "إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم مبهم، فقالت هذا مقام لعائت من القطيعة، قال نعم أما نرضين أن أُصر من وصت، وأقطع من قصعت، قالت بلى، قال فذاك لك، ثم قال رسول سه - ﷺ - قرعوا إن شئتم

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ لَدَيْنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) أَلَيْسَ لَكُمْ أَنْتُمْ وَآلُكُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ خَافَتُمْ أَنْ يُصَٰدِقَكُمْ رَبُّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ۚ وَلَوْ أَنَّ قُلُوبَكُمْ أَقْفَالُهَا ۚ﴾^(٣)

فألرحمن أرحم من خلق الرحم وسماه، ووضعها في الأم، وجعله صلة ومودة وقرينة فقال سبحانه

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤)

(١) أحكم لقرن لفرطبي، ح ١٦، ص ٢٤٧ ورواه سحاري عن أبي هريرة.

(٢) الآيات ٢٢ ٢٤ من سورة محمد

(٣) من الآية ٧٥ من سورة الأنفال.

الدعوة إلى الله

وينهى رسا عن قصعة الرحم، وقرن فعل هذا العمل بالفساد في لأرض
حسبما تقدم قوله (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وبقطعوا
أرحامكم).

هذه الأمومة في لإسلام عطاء لا ينفد، ولا ينهي، وبكفيها ما جاء في الآثار
في الدعوة إلى الرب وتكريمها «الحبة تحت أقدام الأمهات».

الأموال واستثمارها في الإسلام

الاقتصاد في الإسلام سياسة تشريعية من الله - سبحانه - في أصولها، وفي ذات الوقت إنسانية من حيث تطبيقها. ونتيجة لهذا، فإنها سياسة ثابتة باعتبار مصدرها ومتطورة في تطبيقها، ومن قبيل هذه المصادر قوله تعالى

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَاطِلٍ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكْمِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِإِثْمٍ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وقوله تعالى

﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَرَبِّ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ بِكُنْ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَاتُكُمُ الرَّسُولُ فَحْدُوهُ وَمَا بِكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوٓا ۚ وَتَقْوُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ ﴾ (٢)

من هذه الأصول وغيرها أخذ فقهاء الإسلام قواعد استثمار المال حذراً من الوقوع في الربا المحرم، مخالفين بذلك عناصر الفوائد الربوية، التي تتمثل في هذه النقاط تحديد الفائدة قدرًا وزمنًا، مع ربطها برأس المال بون الربح، وتحميل

(١) الآية ١٨٨ من سورة النقرة.

(٢) الآية ٧ من سورة الحشر.

الدعوة إلى الله

صناعي إسلامي يقوم على إنشاء صناعات تتوفر خدماتها في ابلاد الإسلامية، وبنوك كبن التعمير والإسكان، وإحياء الأراضي البور، القابلة للاستصلاح، وهي بحمد الله كثيرة مع توفر سبل إصلاحيها ومواردها المائية في مصر والسودان وغيرهما. كل هذه طرائق لاستثمار مال المسلمين المودع في الخزائن أو المبعثر في البنول الربوية، يتقوى به أعداء الأمة لإسلامية. وبحمد الله أيضاً تتوفر الخبرات في نواح كثيرة، ومن ثم فإن اتجاه البنوك الإسلامية إلى تلك الوجوه في الاستثمار دون الاكتفاء بالعمل التجاري، يجذب إليها العديد من المتعاملين الذين يبتغون كسب طيباً، لاسيما في هذا الوقت الذي بدأت فيه لصحوة تغزو قلوب المسلمين، دفعاً لهم إلى التماسك والتخفي والتزم أوامر الله و جتناب المحرمات من الربا والفسق.

هذا، ومن المقرر في الإسلام تحريم ركود المال واختزانه، وأصر هذا قول الله

تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن كَثِيرٌ مِّنَ الْأَحْيَارِ وَلَهُمْ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ
لَاطِلٌ وَيُضْدُوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْبُرُونَ الدَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا
يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

والآية التالية لها، وغير هذا من نصوص القرآن والسنة، تدعو إلى مداومة استثمار المال وتنشيطه، سعياً إلى البقلين من أثقال العوز والحاجة بين المسلمين، وحتى لا تتجمد الثروات في يد طائفة محدودة تتحكم بها في المجتمع

(١) الآية ٣٤ من سورة التوبة.

الأموال واستثمارها في الإسلام

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِلْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَآلِ الرَّسُولِ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ دُونَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوا آلُ يَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَآلُ الرَّسُولِ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥ ﴾ (١)

وفقه الإسلام يقرر أن كل ما به قوم لجماعة، إسلامية فنوحيه من هروض الكفايه، بحيث إذا تركه الجميع أثموا ومن أجل هذا كن من مهمم البنوك الإسلامية توحه نشاطها إلى ما يدعم اقتصاد الأمة من صناعة وزراعة وعلوم مستحدثه، بذلك تستحوذ على إقبال أصحاب الأموال المسلمين، لأن الممول من لمصارف الإسلامية ألا يقتصر عملها على لإقراض وقبول الودائع، بل عبه أن تست الصرق لعيدده لمستحدثه في استثماراتها، سواء في مجال لإنتاج، ثم الخدمات، كعمال التخزين والوكالة.

ولا شك أن سلوك البنوك الإسلامية في التعامل بأسلوب استعاقد الرصائي مع أصحاب الأموال على لأجر الذي يفضاه نظير الخدمات لمشروعة التي يقوم بها لهم عى وحه رافع للمنازعة، بدعوهم للإطمئنان إلى إسناد أعمالهم إليها، ومتى اطمأن المعاملون معها إلى حسن ممارستها، وإحلاص القائمين عبه، وحرصهم على نمننها، إردد لإقبال على الإسهام فيها، وتكثير رأس مالها، مما يؤدي إلى تفرعها في مختلف أرجاء العالم لإسلامي، وعندئذ تتمكن من الاستثمار بمدحرات لمسلمين، ويرتبطون بها في نعملهم، ولها في سبيل ذلك أيضاً أن تبشر بجميع أموال الركاه، ونبتها قروضاً حسنة للمحتاجين، أو هبات لمن مستهم ضراء من حريق أو فقد عاشر، حتى يكون لها بهذا نشاط، اجتماعي أساسه أحكام الإسلام وتوحيهته.

(١) الآية ٧ من سورة الحشر.

٢- الأموال واستثمارها في الإسلام

نظرة أساسية للمال ومنزله

لعليا وبحر نعم الصر هي لقرآن الكريم برناد ما فيه من توحيه وإرشاء نقرأ
قول الله - سبحانه

﴿ تَمَنُّوْا وَلَسُوْا رِزْقَ الْحَيٰوةِ كَذٰبًا ۚ وَلَنَبْقِیْتُ لِّلصَّٰلِحِیْنَ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا
وَحَيْرٌ مَّلَأًا ۚ ۝۱﴾^(١)

وفوله

﴿ وَتَحْتَوِیْ اَکْمَلَ حُسْنًا حَمًا ۚ ۝۲﴾^(٢)

هذه الآيات المباركات من رب السموات تشير إلى قيمة المال ووضعه في
أحكام لإسلام، ذلك لأن المال هو الوسيلة الفريدة والأداة الفعالة في العناصر التي
لاب منها هي قيام الحياة لعملية لبى الإنسان، إذ إن كل ما تقوم عليه الحياة هي
نشوء واكتمالها وأسباب عزها وسعادتھا من قوة ومنعة وصحة و تساع سلطان
وعمران كل ذلك وسبلته المال.

ومن هنا كان نظر القرآن في تلك الآيات إلى الأموال هذه النظرة الواقعية،
وسوى سبها وبين الأولاد ووصفهما جميعاً بئهما ربنة الحياة، كما وصفها بأنها
قوم لاسر، باعتبار أنها قوام المعش والمصالح لخاصه والعامه

(١) الآية ٤٦ من سورة الكهف

(٢) الآية ٢٠ من سورة الفجر.

الدعوة إلى الله

ولما كان الإسلام ديناً وحياء، فقد أقام أحكامه على أسس من واقع مقتضيات الحياة، وزاوج في ذات الوقت بين مطالب الروح ورغائب الجسد، لا تطفئ إحداهما على الأخرى.

﴿يَتَأْتِيَ آلَ لُؤْلُؤٍ مِّنْهُمُ اسْتَحْبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ دَعَاكُمْ بِمَا تُحْيِيكُمْ^(١) وَعَلِّمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ^(٢)﴾

حياة الروح وحياء لجسد حياة طيبة متوارنة لا تفريط ولا إفراط، فلروح طريق سعادتها بالاتصال بربها، وللمادة صريق خيرها وبفعها، فكان الأمر من الله بتحصيل الأموال بطرق خيرة ينتفع الناس بها، فيها النشاط والعمل وعمارته الكون والاختلاط والتعارف والتعاون والتبادل.

هذا هو الإسلام يستعرض طرق السالفين في كسب المال، هيمن على قريش بأن يسر لها في تجارتها ويذكرهم بهذا الفضل

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ^(١) إِلَّا لَهُمُ رِحْلَةُ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ^(٢) فَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
الْبَيْتِ^(٣) لَدَيْهِ تَضَعُهُمْ^(٤) مِنْ جُوعٍ وَءَامِهِمْ^(٥) مِنْ حَوْفٍ^(٦)﴾

ثم يوجه النظر إلى نوع آخر من المال وطرق تحصيله والسعي إليه، طريق لرعاية النبي بها حياة الأرض واستثمارها، مبرراً نعمته بإعداد الأرض للزراعة، وبإنزال المياه، لإحيائها

(١) الآية ٢٤ من سورة الأنفال

(٢) سورة قريش

٢- الأموال واستثمارها في الإسلام

﴿ فَلْيَسْطِرْ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ أَلَمْ صَبَّأْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفًّا ۚ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ وَعَسَا وَقَضَبًا ۚ وَرَيْتُونًا وَنَحْلًا ۚ وَحَدَّ بَيْنَ عَسَا ۚ وَفَكْهَةٍ وَأَنَا ۚ مَتَّعَ لَكُمْ وَلِأَتَعِمَّكُمْ ۚ ۝﴾ (١)

ثم يوجه نظر الإنسان إلى الصناعة التي عليها تقوم الحضارات وهي سلم الرقي للإنسان، ولهذا يشد القراء الكريم الناس شداً ليهديهم إلى عدد من الصاعات التي لا بد منها في كمال الحياة، فيشير إلى صناعة الحديد بقوله ﴿ وَنَزَّلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ۚ ۝﴾ (٢)

وإلى صناعة الملابس بقوله

﴿ نَسَىٰ آدَمُ قَدْ أَرْسَلْنَا عَنْكَ لَبَاسَ يُورِي سَوَاءَ بَاطِنِكُمْ وَرِيثًا ۚ وَلَسَ الْتَفَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنِّي ۚ أَيْتَ اللَّهُ لَعَنَهُمْ نَذَّكُرُونَ ۚ ۝﴾ (٣)

وإلى إقامة القصور ونشيد المباني من أجود مواد الأرض

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخِي الصَّرْحَ ۚ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُحَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۚ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاسْمِعْتُ مَعَ سُبْحَانَكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ۝﴾ (٤)

(١) آيات ٢٤ ٢٢ من سورة عيس.

(٢) من الآية ٢٥ من سورة الحديد.

(٣) الآية ٢٦ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ٤٤ من سورة النمل.

الدعوة إلى الله

وإلى صباغة الأصعمة وغيرها، فإن تتبع آيات هذا القرآن العظيم يجده قد هدى الناس إلى كثير من مطالب الروح ومطالب لجسد، وأنه دعاهم إلى كسب المال وإنفاقه في المشروع من وجوه الإنفاق:

﴿ وَآتَ دَا لَقَرْنِي حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَأَنْ السَّيْلِ وَلَا تُدِرْ تَبْدِيرٌ ۚ إِنَّ الْمُنْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانُ السَّيْطَانِ وَكَانَ السَّيْطَانُ بَرِيئًا كَفُورًا ۚ ﴾ (١)

والقرآن حين أمر بنحصيل المال وجه إلى بعض الطرق المشروعة، وسمى هذا لسعي ابتغاء من فضل الله، وشرف هذا السعي في تحصيلها بأن جعله قرين الفراء من لعبادة المفروضة، ولم يأمر بالوقوف عن السعي للمال إلا لعبادة فقط، فقال

﴿ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا بِدَا بُدَى لَصَلَاةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ ﴾ (٢)

وقال

﴿ فَبِذَلِكُمْ أَصْلُ الْوَلَاةِ فَاسْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَاتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَذَكُّوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْحَحُونَ ۚ ﴾ (٣)

(١) لايتن ٢٦ و ٢٧ من سورة إسراء

(٢) الآية ٩ من سورة الجمعة.

(٣) لاية ١٠ من سورة الجمعة.

٢ الأموال واستثمارها في الإسلام

ثم يعطي التوجيه العام في السعي و لكسب مع لمنه بتذليل الأرض
وتسخيرها، لنستظهر خيرها من نبات ومعادن وغيرها، مما أُرزّه لنا العلم
الحديث

﴿ هُوَ يَدِي جَعَلَ لَكُمْ لِرِص دُنُوْلًا وَمَشُوْا فِي مَنَآكِبَهَا وَكُلُوْا مِمَّنْ رَزَقَهُ ۖ وَإِلَيْهِ
أُنْسُوْا ۚ ۝ ١١ ﴾

هذ القرآن قد أبّن طريقه ودعوته إلى كسب الأموال ونحصيلها، فما طريقه
في الانتفاع بهذه الأموال والمحافظة عليها؟ تراه يحض على الوسطية فهو يهني
عن البخل بها، ويأمر بالاعتدال في صرفها، ويجعل هذا من صفات عباده الرحمن.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۚ ۝ ٣١ ﴾

بل إنه أبان أن الإسراف فيها فيما لا نفع لها ولا ضرورة، والضن بها عن
الواجبات والحقوق حسرة وندامة

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ إِذَا عَصَيْتَ إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْطِئْ بِهَا لِيُتَقَعِدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۚ ۝ ٣٢ ﴾

وكتاب الله كما طالب بالسعي في كسب الأموال مع الاعتدال في صرفها حذر
من تحصيلها بالطرق التي تحلب الشر والفساد للناس، فمنهى عن السرقة والتسول

(١) الآية ١٥ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦٧ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ٢٩ من سورة الإسراء.

الدعوة إلى الله

و لانتهاب، لأن كل هذه الطرق تنزع الأمان والاستقرار من المجتمع، ونهى عن استغلالها بالرب وبطريق لاتجار فيما يفسد، لعقل والصحة، كالخمر والمخدرات و لخيرير أو طريق لميسر، وإقامة المراقص لإفساد الشباب وانتهاك الأعراض، وعن استغلال المال في كل ما يفسد الأخلاق ويعبث بالإنسانية، ويذهب بالحقوق والكهيات كالرشوة.

وبعل هذه الآية الكريمة قد حوت في كلماتها كل ذلك وأصعاقه

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٤ ١﴾

وبعله ليس بالجديد هذه العدية بالأموال التي نراها تدور هي آيات القرآن الكريم، وإنم كانت هذه الرعاية والهداية من رسالات السماء قس لإسلام، لأن المال كما قيل - عصب الحياة - في كل زمان

وهذا كذب لله يقص على أمر الذين عتوا عن أمره في هذا السبيل وأكلوا أموال الناس بالباطل

﴿ فَطُغِيَ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا عَلَيْهِمْ طَيْبٌ أُجِّلَتْ لَهُمْ وَبَصَدْتُهُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ٢٥ ١ وَأَخَذَهُمُ الزُّنُوفُ وَفُتُّوا عَنَّا وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ٢٦ ١ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٧ ١﴾

(١) الآية ١٨٨ من سورة البقرة.

(٢) الآيتان ١٦٠ و ١٦١ من سورة نساء.

٢- الأموال واستثمارها في الإسلام

أُحِلَّتْ لَهُمْ بِصَدَقَتِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ

تِلْكَ إِمَامَةٌ بِمِرَالَةِ الْمَالِ فِي الْإِسْلَامِ كَمَا أُتِيَ بِهَا الْقُرْآنُ مَصَادِرَ وَحْشِيًّا، وَإِيفَاقًا فِي لُوحُوهِ الْمَشْرُوعَةِ، وَسُجَّ بَيْنَ ذَلِكَ فَوَاقِمًا، وَتَحْذِيرًا مِنَ التَّبَذُّرِ وَالْإِسْرَافِ، وَمَنْ اِكْتَسَبَهُ بِالْأَمْوَاحِ الْمَحْرُومَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَعَاقِبَةُ هَذِهِ السُّلُوكِ الْإِثْمُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ نَفْسُ الْأُمَّةِ، وَتَسْلَمَ مِنَ الْحَشَعِ وَمَمْتَلَىءٍ بِالْحِكْمَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاصِلَةِ، وَمَنْ ثُمَّ تَطْيَبَ الْحَيَاةَ - الرُّوحِيَّةَ وَالْجَسَدِيَّةَ.

من يسر الإسلام وآدابه

كان رسول الله ﷺ رؤوفاً بالمسلمين، رحيماً بهم وميسراً عليهم ما استطاع. روى أحمد في مسنده أن الرسول ﷺ كان إذا باعته لباس بلقنهم ما استطعت ، أي يلبسهم ن يقولوا في عهدهم مع الله أن يفي بالعهد ما استطعنا. وفيما رواه البخاري ومسلم أنه - ﷺ - كان إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا". ومما ينبغي لعلم به أن التيسير أصل من أصول الدين الإسلامي، وسمة من سماته العامة

فالتكاليف الدينية هي في حدود الاستطاعة، ذلك قول الله - تعالى -

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ مَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾^(١)

وقوله ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِسْلَامُ ضَعِيفًا ﴾^(٢)

إن هذا الدين سمح لبس فيه حرج ولا صيق، فقد روي في السنة أن الرسول - ﷺ - قال بعثت بالحنيفة السمحة^(٣)، وهذا الحديث معبر عما جاء في القرآن الكريم ومبين له ويقول الله عز وجل

(١) من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٨ من سورة النساء.

(٣) رواه أحمد.

الدعوة إلى الله

﴿ فَأَقَمَ وَجْهَهُ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ كَبِيرٌ الْقَائِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾^(١)

ويقول سبحانه

﴿ وَمَنْ حَرَّعَ عَلَيْكُمْ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرْجٍ ۝ ﴾^(٢)

ويقول

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُحَرِّعَ عَلَيْكُمْ مَنْ حَرَّحَ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ بِعَمَلِهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ﴾^(٣)

هذا أصل من أصول الدين، وقد كان ﷺ سائساً رقيق القلب، رقيقاً بهم، يوصيهم بالرفق بأنفسهم والإشفاق عليها ففي السنن عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال "كُنْ فِي سَفَرٍ حَرَّعَ النَّاسَ يَحْهَرُونَ بِالْكَبِيرِ - أَيِ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ - أَيِ ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَخَفَّفُوا عَنْهَا، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، وَهُوَ مَعَكُمْ".

وفيما رواه البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت "قال رسول الله ﷺ: إِنْ أَلَّفَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّهْقَ فِي الْأَمْرِ كَلَهُ".

(١) الآية ٣٠ من سورة الروم.

(٢) من الآية ٧٨ من سورة الحج

(٣) من الآية ٦ من سورة المائدة

ولقد كان رسول الله - ﷺ - يحث أصحابه وعماله على لرفق، واللين، والتيسير على الناس.

وما أحوج مجتمعاتنا ليوم، على اختلاف طبقاتها من عمل وتجار وصناع وكل من ولي أمراً للمسلمين، إلى الأخذ بوصايا رسول الله بالرفق، والرحمة، والتيسير على الناس في شؤونهم وحوادثهم.

روى مسلم عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول من يحرم الرفق يحرم الخير وه نحن أولاء إذ طالعبا أقوال سلفنا الصالح من العلماء المجتهدين نجد أنهم قد أجهدوا أنفسهم في استنباط الأحكام الشرعية والتشريعية، وأصعبين في اجتهادهم، وفهمهم للنصوص العامة في القرآن والسنة التيسير على الناس في العبادات والمعاملات اقتداءً بالنصوص الصريحة في التيسير. ألا يرى أن نه حين شرع الطهارة للصلاة بالوضوء أو الاغتسال بالماء جاء بالبديع عند فقده أو تعذر استعماله، فشرع لتيمم؟ وحين فرض الصوم في شهر رمضان رخص فيه الفطر للمريض والمسافر؟ وحول لعرف المستقر الصالح بمعيار الإسلام سنداً وأصلاً للتشريع كما قال به تعالى

﴿ حُدِّ الْعَفْوُ وَمُرَّ الْعَرْفُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْهَلِيلِ ﴾ (١)

وهي الآثار لمروية عن ابن مسعود "ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن". وقوة العرف بكمين في حاجة الدس إليه، ذلك أن ستحسن الدس لعادة من العادات التي ارتضاها المجتمع، معناه أن المجتمع لا يمكن أن يجمع على عرف أو عادة ما لم يكن ذلك مسيئاً لحاجة محبة، ولا شل أن الأحكام لتي وكلها

(١) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

الدعوة إلى الله

الإسلام للعرف أو العادة تعبیر كلما نراحت أصولها أو سدرت، وذلك من يسر الإسلام وسماحته.

ولعلنا بقتدي وبسألهم الهدية والإرشاد من الدعاء لدى دع به رسول به
١٢٠ - فيما روى إمام مسلم في صحيحه حين قال " اللهم من ولي من أمر
أمتي شيئاً فشق عليهم - أي فسا عليهم - فاشقو عليه، ومن ولي من أمر أمتي
شيئاً فرفق بهم - أي رأف بهم قولاً وفعلًا - فارفق به".

العلم والتعليم في الإسلام

لقد افتتح الله - سبحانه - وحي نوره الكريم في الرسول محمد - ﷺ - بقوله تعالى

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ : خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ : أَمْراً وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ : الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ : عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١)

وفي هذه حكمة بالغة للمسلمين، ودعوة إلى أمة الإسلام أن تعموا، وطلبوا
لعلم، كل العلم.

لقد أكد لقرآن هذه الدعوة في العديد من آياته، هتراه يفاضل بين الدين
بعلوم و لذين لا يعلمون، وتراه يشير إلى صنوف من العلوم والمعارف، اصطحت
على سميها - علم الفلك و لنقويم و علم الصحة و علم الملاحة و الأحياء و الصناعات
و لقرون وسائر لمخترعات مما أفاض الله عنه - ومايزل - على بني الإنسان،
سبحانه - علم الإنسان ما لم يعلم

ومازال الإنسانية تتقدم في العلوم والاستكشافات بالصبر والمثابرة، والنظر
في الكون وما فيه من عجائب وغرائب لفت لقرآن إليها الأنظار، وكم من منكرات
جاءت على مثال أجهزة جسم لإنسان الذي لفت به الأنظار إلى كمال صنعه له،
حين قال

﴿ وَفِي أُنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢)

(١) الآيات ١ هـ من سورة لعلق

(٢) الآية ٢١ من سورة لذاريات.

الدعوة إلى الله

«وطلب العلم فريضة على كل مسلم» كما أخبر رسول الله ﷺ - في الحديث الشريف الذي رواه ببيهقي عن أس، فعلى كل من المسلم والمسلمة، أن يطلب العلم ويسعى إلى تحصيله.

وكلمة العلم في الحديث معرفة بالآلف و للام، فأى علم يعتد طلبه والسعي إليه فريضة؟ ثم لهذا الحديث مصموم فردى ومصموم جماعي، ومعنى هذا أن ما يعتد فريضة على مسلم يمر مرحلة على الطريق بالنسبة لمسلم آخر كما يشير الحديث إلى أن هناك حداً أدنى للعلم المفروض طلبه، وهو ما يصح به دين المسلم، ويتيسر له به كسب رزقه.

ومن ثم فالعلم الذي يدعو بالدين مما يصح به العقيدة و لعباده من توحيد ومن صلاة وصوم وزكاة - إذا وجبت عليه - وحج - إذا كان مستطيعاً - فرض يجب عليه طلبه.

وكذلك لعم الذي يتعلق بالحياة اليومية على المسلم أن بنعمته، لاسيما وفروع العلم متجددة كما تجددت المسؤوليات التي توجه لمسلم. ننت معاً لمسؤولية الفردية نحو فرض طلب العلم، أما على المستوى الجماعي فإن العلم المفروض طلبه على وجه الإجمال هو ما يصح به دين الجماعة ودنياها.

ولقد كان من التطبيق العلمي لطلب العلم في عصر النبوي هو ما صنعه رسول الله ﷺ - حين جمع عداء كل أسير بقرأ ويكتب أن يعم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة، ولا يعيب عن لذهن أن هذا هو باب العلم والتعليم. ومن ثم، كان توجيه الله في أول ما نزل من القرآن

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۚ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۚ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۚ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۚ ﴾^(١)

وأقسم به بالقلم فقال

﴿ تَبَّ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾^(٢)

توجيها لأهمية القلم والتعليم.

وقال الله تعالى

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَنِّيكَ ۚ وَلَوْ أَنَّا أَلَّعِمْنَا الْقِسْطَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ ﴾^(٣)

فانظر كيف بدأ - سبحانه وتعالى - بنفسه وثنى بالملائكة وثالث بأهل العلم، وباهيك بهذا شرفاً وفضلاً وحلاءً ونبلاً، وقال تعالى

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^(٤)

(١) الآيت ١ - ٥ من سورة العلق.

(٢) الآية ١ من سورة لقم.

(٣) الآية ١٨ من سورة ل عمران.

(٤) من الآية ١١ من سورة المجادلة.

الدعوة إلى الله

وفي الحديث عن بن مسعود - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - « لا حسد إلا في اثنتين رجل اتاه الله - عز وجل - حكمة فهو يقضي بها ويعلمها للناس، ورجل اتاه الله مالاً فسلطه علىهلكته في الخير » متفق عليه.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - للعلماء درجات فوق المؤمنين سبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة ٥٠٠ عام.

ومن الآثار التي وردت في فضل العلم ومكانته قول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - العلم خير من المال، العلم بحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنفصه البهفة، والعلم يزكو بالإنفاق.

وفد قيل ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك، وهذا باعتبارهم أهل الحكمة والمشورة، وموئل الفكر والتقدير، كل في تخصصه، وفيما يحسنه.

وقد أمرنا الله تعالى في إقران الكريم بالتعليم، فقال - تعالى -

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ لِيَمْرُؤَ كَافَّةً ۚ وَلَوْلَا دَرَمٌ مِّنْ كُلِّ صِغَةٍ مُّطِيعَةٌ
لِّيَسْفَقُوا ۚ وَلَئِن يُّشَدُّوا قَوْمُهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝ (١) ﴾

وقال - عز وجل -

﴿ وَمَا رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَحَالًا يُّوْحَىٰ إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنْ كُنْتُمْ لَا
تَعْمُرُونَ ۚ (٢) ﴾

(١) الآية ١٢٢ من سورة لقمة

(٢) الآية ٤٣ من سورة سجد

العلم والتعلم في الإسلام

وقد قال الرسول ﷺ - «من سبَّ طرفاً بصلب فيه علماً سبَّ الله به طرفاً إلى الحية وإن الملائكة لنصنع أجحنها لطالب العلم رضى بما يصنع»^(١)

فأعظم لأشياء ربه في حق الإنسان لسعدده الأبدية، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ولن يذهب إليها إلا بالعلم والعمل، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم، فصل السعادة هي الثب والآخره هو العلم، فهو إبدأ أفضل الأعمال وكيف لا وقد يعرف فضيله شيء أيضاً بشرف ثمره، وثمره العلم القرب من رب العالمين، ولالتحق بأفق الملائكة، هذا في الآخرة. وأما في الدنيا، فالعز والوقار ولزوم الاحترام في الطباع، فإذا كان العلم من أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل.

وقد قيل للإمام مالك - رضي الله عنه - ما يقول في طلب العلم فقال (حسن جميل، ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فإلزمه)، فقال - لعلم نور يجعله الله حيث يشاء، وليس بكثرة الرواية، وهذا الاحترام والتوفير منه لعمل يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى.

وكان الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه - عبداً زهداً عارفاً بالله تعالى، خائفاً منه، مريداً وجهه تعالى بعلمه، وقد دعي إلى ولاية القضاء، فقال: أنا لا أصح لهذا، فقل له لم؟ فقال إن كنت صادقاً فما أصح لها، وإن كنت كاذباً فما لكاذب لا يصلح للقضاء، وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا.

ولقد أتى على المسلمين حين من الدهر ركوا إلى الكسل حتى خمدت ملكتهم وحمدوا على ما تركه أسلافهم وأهمين أن ما ورثوا هو كل لعلم، غافلين عن أن العلم إذا ركبت أدواته فقد حركته، ولم يعد مثمراً ولا منبئاً.

(١) رواه أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء

الدعوة إلى الله

ولقد ظلوا كذلك عاكفين على ما ألفوا بينما غرهم بتسبقون من حولهم في تفاق من العلوم والمعارف، فتشط، لآخرون إلى اكتسابهم العلم القادر على أن يطمح حياة المجتمع ويربقي بها ويضع كل فرد في مكانه المناسب ويحدد له مسؤولياته، حتى يقوم بعمله مخلصاً فيه، مؤمناً به بحيث يؤتي العمل ثمرأً ينعم بها الفرد والمجتمع.

وفي هذا العصر تنوعت آفاق المعرفة والعلوم، وصارت مجال تنافس وتسابق بل صار الصراع العلمي حاداً بين القوى العظمى في العالم وجاداً في المعام ومعاهد البحوث، فضلاً عن لغوم النظرية الأخرى.

ولست بحاجة إلى أن أوجه النظر إلى ما امتلأ به أحواء الفضاء من أقمار ومركبات، ترقب وترصد كل حركة على الأرض وفي أعماق البحار.

وما زال أبناؤنا منصرفين في طلب العلم إلى العلوم التقليدية، مترقبين للتوظيف، قانعين بما حصلوا من علم وتوصلوا به إلى الشهادة التي يأملون.

إنني أذكر أبناؤنا وبناتنا أن طلب العلم كل العلم النافع للدين والدنيا أمر يحث عليه الدين ويلتقي معه.

إن الطالب أو الأستاذ يعكف على البحث العلمي في مركزه ومعامله، يؤدي للأمة جهداً لا يقل عن جهد المحارب الذي يحمل السلاح في ميدان القتال ولا عن جهد سياسي الذي يبذل قدراته في مجال السياسة ولا عن جهد رجل الاقتصاد الذي يدبر الموارد المالية ويبتكر طرق تحسينها ويعالج آثار الإسراف والإتلاف على مصادر التمويل.

إن استقلال الأمة - وإن كان مظهره الاستقلال السبسي - بأن يكون للوطن كيانه المستقل ومظهره الدولي وعناصره المحلية من علم ودولة ونشيد وجيش، فإن

هذا كله يعد مرحلة أولى للاستقلال ولابد بعد هذا، بل ومعه، من لاستقلال الاقتصادي، حيث تقوم الدولة على مقومات اقتصادية نعتمد عليها قوتها الدتية ومع ذلك فلا بد من لعم والذاتية العممية للدولة، بمعنى أن تكون قادرة علمياً على صون استقلالها لسياسي وإدارة اقتصادها وتنميتها، وذلك بتربية الكفاءات القادرة على رسم المستقبل وصنائه ولدهاء عنه وتوجيه النهضة العلمية إلى الابتكار، دون الاقتصار على التقليد والاستيراد

ولا بد أن يحوط كل ذلك زانية ثقافية عامة نابعة من الدين والعداء و لأعراف واتقاليد، وأن تكون لها حصرتها ذات الخصائص المتميزة، فلا بدوب في غيرها، بل لا بد أن تحتفظ بسمانها هي اللغة والعادات اليومية والملبس وطرائق لتفكير والتعبير.

تلك مجالات طلب لعم، لا يختلف الإسلام معها ولا يختلف عنها، وإليها ينبغي أن تتجه صاقات شباب الأمة دراسة عميقة مفهدة، وأن يتخلص من السطحية التي علبت في الدراسة وهي التحصيل، وأن تكون له مكتبته التي يجس إليها وذات علاقة بما استماله من فروع العلوم.

بني أدعو الشباب إلى طلب العلم، كل لعم، والإقبال عليه كم أدعوهم إلى الإقبال على الإسلام علماً وعملاً، وليتعلموا من الدين ما وسعهم وما تصلح به حينهم وصستهم بالله وبالناس وبأنسرة بوجه خاص. وأهيب بأولئك الشباب الذين انصرفوا إلى الدين، ولكنهم نحولوا إلى نوع من الانطواء المذهبي أو الطائفي أو العقائدي، و ستبذلوا بالسماحه التي هي سمة الإسلام سمات الريبة واغلظة والتقوقع في مجموعات أو جماعات عزلها انطوؤها عن فئات المجتمع الإسلامي، وظنت أنها على الحق وغيره على الباطل، هنفرت من المجمع وتحولت بطاقتها

الدعوة إلى الله

إلى صراع معه أو مع الدولة أو مع الحاكم دون سد أو سبب مشروع. وبدلاً من أن نسهلك صفات هؤلاء السباب فيما يقع الأمة، نسنق في الصراعات الداخلية، هكذا تتشعب المسالك التي تؤدي إلى المهالك.

أيها الشباب خذوا من الإسلام سماجته هي الصلة بالله وبالدين وأصحو دات بكم بالحسنى وبالوعظ لخالصة، وكفوا عما شغلتم به أنفسكم وعيركم من صغر الأمور التي رفعتموه إلى رحاب العقيدة وفروض الشريعة.

تحملوا المسؤولية المنيطة بكم، وامنوا بالله وبالإسلام الذي أمر بالعلم والعمل، واعلموا أن العلم لمطوب - بعد العلم بأمور الإسلام - هو العلم الذي يصح به هذه الحياه يمدّها ويحميها وترهبون به عدو به وعدوكم، وترفعون به قدر أمكم والله معكم ولنترككم أعمالكم.

أهمية النية في الإسلام

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول
«إِنَّمَا لِلْأَعْمَالِ بَاسِيَاتٌ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ
يُكْحِلُهَا، فَهَاجَرَ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» متفق عليه.

قال النووي - رحمه الله - في شرح هذا الحديث أجمع لمسلمون على عظم
موقع هذا الحديث وكثره فائده وصحته، قال الشافعي وآخرون هو ثابت الإسلام.
وقال الشافعي أيضاً إنه يدخل في سبعين باباً من الفقه. وقال آخرون هو ربع
الإسلام، ونقش أن سبب هذا الحديث أن رجلاً من قریش هاجر إلى المدينة مع
المسلمين من أجل امرأة يقال لها «أم قيس» فعرض به النبي - ﷺ - تنفيراً للناس
من هذا القصد وحثاً على أن تكون الهجرة وكل عمل ابتغاء مرضاة الله وتنفيذاً
لشرعه.

وهذا الحديث الشريف يؤصل لنا أهمية النية، ومدى تأثيرها على الأعمال
قبولاً وإسقاطاً، ومدى خطورتها واستحقاق المثوبة عليها.

فإن صدق شخص صدقه، وكان أحدهما قد سواها خالصه لوجهه
أثابه الله عليها وكان الآخر قد ظاهر بها رياءً وطلباً لثناء الناس عليه، بقست
عليه وزراً

وإذا أصال شخصان الصلاة وأكثر منها فإيما يقبل الله صلاة من أحسن
النية وخلصها ابتغاء مرضاته وشيبه غيرها، أما الآخر الذي صلى رياءً وطناً لثقة
الناس، فقد انقلبت صلاته وزراً وكان حصادها إثماً.

الدعوة إلى الله

فمن فقه هذا الحديث الشريف إن الله لا يتقبل من الإنسان أي عمل بدون نية خالصة لأن النية في الإسلام شرط لا يقبل الله العمل إلا بها

هذه الصلاة بدخلها المسلم بالنية، ومستحصراً به قلبه، مسمياً بها وجهه لربه، متفرعاً عن كل شاغل، متجرداً من كل عرص إلا السجود والطاعة لله الذي خلق لإنسان فسواه فعدله في أي صورة ما شاء ركبته.

ومن فقه الحديث أن الإسلام يهتم بالجواهر قصداً إلى تنقية القلوب من الغش والحق، إذ متى انعقدت النية على العمل عبادة لله وحده كان الأداء طيباً مثمراً قلباً وقالباً، ويؤيد هذا الحديث الشريف الذي قال به رسول الله - ﷺ - «إن الله لا ينظر إلى أحوالكم ولا إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»^(١)

ولقد حذر رسول الله - ﷺ - من انصرف النية في الأعمال إلى غير الله، ما في ذلك من أخطار ومساوئ، فقال - ﷺ - «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك لأصع» قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال «الرياء، يقول الله يوم القيمة، إذ جرى العباد بأعمالهم، ذهبوا إلى الذين كنتم تراعون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء»^(٢).

وفي إخلاص العمل لله - سبحانه - أيًا كان نوعه، فوائد جمة أهمها

١- أنها تحث المسلم على عمل الخير وإتقانه والإخلاص فيه، إذ متى انصرفت النية للعمل لله وحده، فقد رقبه العامل، وجعل الله أمامه في أي عمل أسند إليه، وأي مكان وجد فيه مراقب به فتقن عمله فاستفاد وأفاد مجتمعه.

(١) حديث مرفوع عليه.

(٢) حديث مرفوع عليه.

أهمية النية في الإسلام

وهو لإحسان الذي عرفه لرسول - ﷺ - في قوله : « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »^(١)

٢ ين النية ومراقبة به تبعد عن فعل الشر و لاقترب منه، لأن العبد يراقب ربه وبخافه، ويعلم أنه مطلع عليه وعلى أفعاله.

٣ ين النية تجعل العمل من لمسم هدفاً ومقصداً، وبدل تكون حافزاً له على فعل الحيرات مرضاةً لربه وقصاءً لحوائجه وخدمةً لمجمعه.

٤ النية تنفي صدر لمسم من الحقد و لحسد وسوء الض و بها تصح الفوب وتسلم لنفوس، وتحجم الأعصاء عن الأذى والسوء والآثام، ذك فقه قول الرسول - ﷺ - الذي رواه أحمد بسنده « ألا وإن في الجسد مصعة إذا صحب صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب »^(٢).
وصدق الله في قوله - تعالى -

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾^(٣)

(١) من حديث طوبى متفق عليه

(٢) من حديث طويل متفق عليه.

(٣) الآية ٥ من سورة البينة.

نظرة الإسلام إلى المال والعمل

الإسلام هو الدين الوسط الذي واعم في تشريعه بين احتياجات بني الإنسان هي هذه الحياة.

وقد أقامت شريعة الإسلام نظاماً مالياً متوازناً لتحقيق هدف إعمار الأرض وإسعاد البشر، وفتح الإسلام أسواق الرزق الطيب وحث عليه وأتاح الفرص لنمية نزوة الأفراد وحرص الإسلام على تهيئة المباح الصالح الخالي من الفساد، كي تنمو شجرة المال الإسلامي مباركة مثمرة طيبة.

ومن هنا كن اهتمام الإسلام بطرق كسب المال، باعتدله قوام الحياة للفرد والمجتمع، ولذلك حث على العمل والكسب، ففي سورة الجمعة قول الله - سبحانه -

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَاسْتَشِيرُوا فِي الْأَرْضِ وَانْتَفُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

وفي سورة الأعراف قول الله - سبحانه -

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢)

وجاء في الأثر:

«الديا حضرة حلوه من كسب فيها مالاً من حبه وأنفقه في حقه، ثبه لله وأورده حننه، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حبه، وأنفقه في غير حقه، حبه لله دار الهوان».

(١) الآية ١٠ من سورة الجمعة.

(٢) الآية ١٠ من سورة الأعراف.

الدعوة إلى الله

وفي القرآن الكريم، في سورة البقرة قول هـ - سبحانه -

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١)

وهي السنة الشريفة قول الرسول - ﷺ - «أَيُّمَا عَبْدٍ نَبِيٍّ لَحِمَهُ مِنْ سَحَابٍ فَأَلْغَاهُ أَوْ لَوِي بِهِ» (٢).

ولقد «عُتِبَ الْإِسْلَامُ السَّاعِي عَلَى رِزْقِهِ، كَمَا بَسَعِيَ فِي سَبَبِ اللَّهِ، فَقَدْ حَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «... وَإِنْ كَانَ حَرْجٌ بِسَعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْفُوهُ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

والعمل أصله حلال، والحرمة أمر طارئ عليه، ولهذا لم يحرم الإسلام من وسائل الكسب إلا ما كان به ظلم أو بخرس أو عبث أو استغلال أو تحاير في المحرمات أو فيما يضر النفس أو يؤدي إلى تكديس الأموال وعدم استئثارها، وهذا ما أشار إليه قول هـ - سبحانه - في سورة التوبة

﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣)

(١) الآية ١٦٨ من سورة البقرة

(٢) رواه الطبراسي

(٣) من الآية ٣٤ من سورة التوبة

نظرة الإسلام إلى المال والعمل

إذ إن أحد وجوه الاكتناز حبسها عن التداول والتدوير في أنواع الكسب المباح من تجارة وزراعة وصناعة، واستغلالها كذلك في القروض الربوية المحرمة، لأن في هذا حبساً لتلك الأموال عن النفع العام. ومن ثم، فإن من صور الكسب الحرام استغلال المال بالإقراض المحرم أي بالفوائد.

ومن صوره التجارة في المحرمات وصناعتها، كالخمور والمخدرات، وفاسد الأطعمة والأشربة والميتة والأصنام.

ومن صور الكسب الحرام خلط السلع أو إخفاء عيوبها، إذ إن هذا محرم، وقد حكم رسول الله - ﷺ - بأن «من غش المسلمين فليس منهم».

أو التدليس ومنه بيع البجش - أي المرادات غير المستطمة - والتي يتدخل فيها بعض الناس لرفع الأسعار قصد الإضرار أو بيع الشيء بأكثر من قيمته الفعلية.

ومن المحرمات في العمل استغلال الأجير وانتقاص حقوقه، ويخس الناس أشياءهم، واحتكار الأطعمة وما بهتاجه الناس ويشح في الأسواق استغلالاً لحاجة، وفي مثل هذا جاء الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - «ثلاثة أمان خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطي بي ثم غدر ورحل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه»^(١)

ويقول الله - سبحانه - في مثل هذا

﴿وَلَا تَحْسُوا النَّاسَ أَشْيَاءُهُمْ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٢)

(١) جامع الأحاديث ج ٢ ص ٦٧٩.

(٢) الآية ١٨٣ من سورة الشعراء.

الدعوة إلى الله

ومع الحث على الكسب الحلال والترغيب في العمل المنتج المثمر المفيد للفرد والمجتمع، وضع الإسلام ضوابط على الإنفاق، وذلك لضمان حسن استثمار المال فيما يخدم مصلحة الأمة، وكى لا يترك الأمر دون ضوابط، وكان مما حرم في الإنفاق الرشوة وكل الأموال بالباطل والسفه بالإنفاق فيما لا يقره الشرع والعقل.

وقد حفلت آيات القرآن، الكريم وأحاديث الرسول - ﷺ - بالآيات والوصايا التي تنظم كسب لأموال، وإنفاقها في الأوجه المشروعة، وتحث على الاعتدال، وامتدح القرآن صاحب المال الذي يتقي الله فيه ذلك قول الله - سبحانه - في سورة الليل

﴿ وَسُحَّتْهَا اللَّيْلُ فَأَنَّى ﴾ أَلَدَى يُؤْتَى مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُحْزَى ﴿ إِلَّا أَتَعَاءَ وَحَهُ رَبُّهُ لِأَعْلَى ﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿ (١)

(١) آيات ١٧ ٢١ من سورة ليل.

تكريم الله للإنسان وحرمة

قتل النفس إلا بالحق

هذا الإنسان صنع الله الذي أتقن كل شيء، خلقه فسواه فعدله. وقد امتن على هذا الإنسان بتكريمه إياه حيث جعل له شرفاً وفضلاً، وهو تكريم ينفي النقصان، فقد جعله بشراً سوياً على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، مما لا يصح لغيره من المخلوقات الحيوانية، فكان له إرادته وقصده في تدبير شؤونه، وليس كغيره مما يشاركه في الحيوانية يقد ويساق، ويُستخدم، وخصه به بالطعام المتنوعة والمشارب والملابس، وهذا ما لا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم، الذين يكسبون المال لأنفهم خاصة دون سائر الحيوان ويلبسون الثياب، مع أن عاية كل حيوان أن يأكل لحماً بيئاً، ثم إن الإنسان يتناول صغامة بيده وهو مميز كذلك بالنطق والإفصاح عما يريد بعبارة، وإن اختلفت لغات بني الإنسان، وهو مسلط على سائر المخلوقات ينتفع بها ويسخرها، وكأن عقله هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصله إلى صديق رسل الله الذين من أجله ابتعثوا إليه لهدايته، وأنزلت الكتب من عند الخلق سبحانه وقد مثل الأقدمون شرع الله بالشمس، والعقل للإنسان بالعين، فإذا كانت سليمة وفتحت، فرأت كل شيء، وأدركت تفاصيل كل شيء، ولا يفصل بين الإنسان وبين غيره من الحيوانات عظم الجسد أو بقوته، فقد جعلت في بعض الحيوان خصالاً غير متوافرة هي بني الإنسان كسرعة حري الفرس، حتى اتخذ الإنسان معياراً لتقدير القوة، وضخامة جسد الفيل وقوته والشجاعة في الأسد، وإنما كان التكريم للإنسان وتفضيله على ما سواه بالعقل.

الدعوة إلى الله

تلك مئة حلية من الله العليّ لأعلى على إنسان هذا الوجود، ساقطها به في القرآن مذكراً بنعمه على هذا الإنسان ونسله

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا نِيَّءَ دَمٍ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَحْشِ وَالْحَرْ وَالْخَرَّ وَزَرَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيْنِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا فَضِيلاً ﴾ (١)

لقد كرم الإسلام الإنسان حياً وميتاً، فهذا رسول الله محمد - ﷺ - ينهى عن كسر عظم الميت بقوله "كسر عظم الميت ككسره حياً" (٢) وأوجب الإسلام في شريعته دفن الإنسان في باطن الأرض أو في مقبرة، تكريماً وبعداً بجسده عن أن تنهشه السباع والكلاب والطيور.

وهين قتل ابن دم أخاه فبم مصي من الرمان، كانت هذه أول حادثة قتل وموت في درية آدم، كما أنبأ بها القرآن في قول به سبحانه

﴿ وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ سَاءَ نِيَّءَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَنْقُضُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ لِيُتَقَبَّلَ إِلَيْ يَدِكَ بِتَقْوَى مَئِنَّ بِبَاسِ يَدِي إِيَّاكَ لَأَقْتُلَنَّكَ يَئِئْ خَافُ اللَّهُ رَبَّ تَعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ يَئِئْ أَرِيدُ أَنْ تُؤْبِئْتَنِي وَإِيَّاكَ فَتَكُونَ مِنَ الصَّاحِبِ الَّذِينَ وَدَّكَ خَرُؤًا لَطِيفِينَ ﴿٢٢﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣)

(١) آية ١٠ من سورة الإسراء

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) الآيات من ٢٧ - ٣٠ من سورة المائدة.

مكره الله للإنسان وحرمه قتل النفس إلا بالحق

ويعد هذا الجرم الأول من الإنسان لأخيه الإنسان. وكانت حيرته كيف يتصرف في هذا الحسد الذي أفقده عقله وحركته، وصار عبثاً يحسه كما يحمل إثم جريمته الأبدية^(١)

﴿ فَعَتَّ سَهْ عُرَانًا يَتَحَثُّ فِي الْأَرْضِ لِبُيْرِهِ، كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَحِيهِ قَالَ بَوَيْلِي أَعَحَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرْبِ فَوْرِي سَوَاءَ أُجِي فَأَصْحَ مِنْ اللَّدْمِ ﴾^(٢)

ثم كان شرع الجزاء

﴿ مِنْ أَحَلَّ ذَلِكَ كَثَرْنَا عَنْ نَبِيِّ إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُوكَ وَلَيْسَتْ تُمْرُّ بِكُمْ كَثِيرًا مَّتَّهْمٌ نَعْدُ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٣)

وبهذا القضاء من الله كان قتل النفس الإنسانية عمداً بغير حق، جريمة منكورة لا يقرها شرع، ولا يتقبلها وضع، ولا يستسيغها مجتمع. وكانت غاية شريعته - خالق الناس وهذا - لكونه - المحافظة على حياة بني الإنسان وصور حياتهم، فلا تهدر دماء إنسان، أي إنسان، إلا إذا قتل إنساناً عمداً، وكان مفسداً في الأرض. وجاءت شريعة الإسلام - حاتمة الشرائع - مقررة القصاص من القاتل عمداً بغير حق أو فساد في الأرض في قوله سبحانه

(١) الآية ٢١ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٢٢ من سورة المائدة.

الدعوة إلى الله

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

هذه لقاعدة شددت في التنفيذ من قتل الإنسان بغير حق التنفير منها، والنكير عيها، وبينت أحكامها الديوية، وهي الأجرة تحدير، للنفوس من ارتكابها صيانة للأرواح، وقطعاً لعوامل الشرع، وعملاً على استقرار الأمن في المجتمع، لكل ممكن من الوسائل.

وتأيدت هذه القاعدة بآيات كثيرة في القرآن، منها

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَحِرَاقُوهُ جَهَنَّمَ حُلْدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٢)

وفي حديث لذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء.

ولقد شرع الله القصاص من، لقاتل عمداً بغير حق - عقوبة في الدنيا حقاً لدماء الناس وكفاً للعدوان على الأرواح، ودفعاً للأحقاد من النفوس.

وقد اتفق على أن القصاص في القتل العمد لا بقيمه إلا أولوا الأمر الذين فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود، وغير هذا من العقوبات حتى تنقطع الخصومة فلبس لولي القتل أن يقتل لقتله بنفسه أو قبل الحكم باستحقاق القصاص من السلطان، أو من أباه في القصاص أو التنفيذ، إذ السلطان قائم مقام الأمة والمجتمع على ما يفيد الخطاب في الآية ١٧٩ من سورة البقرة حيث حاطت

(١) الآية ١٧٩ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٩٣ من سورة البقرة

مكرهه الله للإنسان وحرمه قتل النفس إلا بالحق

جميع المؤمنين بالقصاص، ولا يتأتى أن يقوم كل المؤمنين بالقصاص، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامته القصاص، وغيره من الحدود بشروطها، بل وغير هذا من التعازير.

وتحريجاً على هذا، فلا يحل لأحد أن يقتل من قاتل أو يأخذ حقاً يدعيه لدى آخر إلا بمعرفة السلطان بنفسه أو من ينوبه، لأن الله هو الذي شرع إقامة السلطان ليقبض أيدي الناس بعضهم عن بعض.

أما سلب أولياء القتل، فهو حق طلب القصاص من السلطان بحسب أو العفو عنه.

وسيطل قول الله العدل هداية للبشرية

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَنَازِلُ عَلَيْهَا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

(١) الآية ١٧٩ من سورة بقرة

المسلم كيف يكون مع خالقه ومع مجتمعه؟

لقد ساق إلينا الذكر الحكيم كتاب رب العالمين قول لله - جل شأنه

﴿ إِنَّ أَدْيَرَ عَبْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اِحْتَلَفَ لَدِيرَ أُوتُوا اَلْكَتَبَ إِلَّا مِنْ نَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِثَابِتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(١)

والإسلام يعني أن يسلم الإنسان نفسه ووجهه وقلبه لخالقه جل علاه، فيراه الله حيث أمره ولا يراه حيث نهاه

ومن هنا، كان على المسلم - في إطار ذلك - أن يتقي الله ويرعاه، ويدرك أن عبوديته الصادقة لله هي مصدر شرفه وفضله وعمرته، لأنها عبودية ترقى به عن أن يكون عبداً لماله قال رسول الله (ﷺ) "تعس عبد الديار وعبد الدرهم"^(٢)، أو أن يكون عبداً لهواه، قال تعالى

﴿ أَقْرَأْتِ مِنْ أَحَدٍ بِنَهْرٍ هَوْنَهُ وَأُصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَحَمَّ عَلَى سَمْعِهِ وَقَسِيَهُ وَحَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مَنْ نَعَدَ أَنَّهُ أَفْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٣)

أو أن يكون عبداً لشیطانه

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ لَكُمْ بِنَبِيِّ ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ كَرَّ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٤)

(١) الآية ١٩ من سورة آل عمران.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، صحيح البخاري ج ٦ ص ٦٧.

(٣) الآية ٢٣ من سورة الجاثية.

(٤) الآية ٦٠ من سورة يس.

الدعوة إلى الله

أو أن يكون عبداً لأي شيء سوى الله

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝ أَحَدٌ ۝ ﴾ (١)

وبهذه العبودية الخالصة المخلصة، تقوى صلة الإنسان بربه ويكون أهلاً لرضاه وحبّه، امناً من مؤاخذته وغضبه، فما أقل حياة من يطمع في فضل الله بغير عمل، وإن كان لا حرج على فضل الله.

ولا شك أن تلك العبودية الصادقة تنعكس على علاقة الإنسان بمجتمعه لأنه يأخذ نفسه بم أمر به دينه، والمسلم كما وصفه رسول الله - ﷺ - "مسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" (٢) "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" (٣) وقال أيضاً "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا شتكى منه عضو ندأعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (٤)، إلى غير ذلك مما يجب أن يكون عليه المسلم في علاقته بالآخرين حتى في ظل التكاليف الشرعية.

وم تعبد الله به عباده من فرائض وطاقات، نراها تثمر خير الإنسان وخير المجتمع، ألم تر إلى الصلاة مثلاً كفريضة من أهم الفرائض، بل هي عماد الدين، يحدثنا عنها القرآن الكريم قائلاً

(١) سورة الإخلاص.

(٢) رواه الترمذي والسنن عن أبي هريرة، مجمع لهوائد ج ١ ص ٢٠.

(٣) رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري.

(٤) رواه الشيخان عن العمان بن بشير.

المسلم كيف يكون مع خالقه ومع مجتمعه؟

﴿ تَرُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ لَلسَّلَاةَ تَهْفَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْعُقُونَ ۚ ۝ (١) ﴾

وهو يعني أن الصلاة إذا أُديت كما ينبغي أن يكون من خشوع هي أدائها، ومحافظة على أوقاتها، تسني مجتمعاً ملائكي السلوك، مُطهراً من الفحشاء والمنكر، لا يبغى فيه إنسان على مخلوق طاعة للخالق، وطلب لشوائه ورهبة من عقبه، ولا يضمّر أحد لأحد شراً، وإنما يتعايش الجميع في ظل التعاون والتراحم والتكاتف والتلاحم على تقوى من الله ورضوان. وليست الصلاة وحدها هي التي تحقق ذلك، وبما سائر لعبادات النبي المسلم لصالح الذي به يتكون المجتمع الصالح، والذي جاء الإسلام يؤسسه ويبنّيه وبشيدته ويعليه. فالؤمن للمؤمن فيه كالبيان يشد بعصه عصاً، أو كالحسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله، وبهذا يتحقق وصف لأخوة الذي أسبغه الله على مجتمع الإسلام عندما قال في كتابه الكريم

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَعْلَمَ تَرْخُمُونَ ۚ ۝ (٢) ﴾

وصارت هذه الإخوة نسبهم، وحلقه لوصر فيهم بينهم. هي ظلها يتشددون في شتى حولهم، ويتسانقون إلى حيرهم، يؤثر كل منهم أخاه ولو كان به خصاصة، يسعى بدمتهم ألبهم، وهم يدعى من سواهم، ممتثلين أمر الله في القرآن

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَلَا تَتَزَعَّوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ ۚ وَأَصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ ۚ ۝ (٣) ﴾

(١) الآية ٤٥ من سورة العنكبوت.

(٢) الآية ١٠ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٤٦ من سورة الأنفال

الدعوة إلى الله

وقوله سبحانه

﴿وتعاونوا على البر والتقوى^١ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان^٢ واتقوا الله^٣﴾
إن الله شديد العقاب^(١)

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة

من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (١)

تتفاوت الروابط التي تكون العلائق بين أفراد المجتمع، فقد تكون هذه لروابط مادية، نفعية ومصلحية، أي أنها تقوم على عنصر مادي هو تبادل المنافع والمصالح فحسب. وهو بهذا مجتمع مادي.

وقد نكون العلاقة بين الأفراد إنسانية، بمعنى أنها تقوم على المودة والتعاون، كمعان وراء تبادل لمصالح والمنافع، دور أن تكون هذه الأخيرة هي لهدف والمقصد، فهذا مجتمع إنساني.

وجاء الإسلام بتكوين المجتمع الإنساني الإسلامي، فدعا إلى تمكين لروابط الإنسانية بين الأفراد، كما دعا إلى تبادل المنافع والمصالح المادية باعتبارها حاجات للإنسان، ولكن في محيط العلاقات الإنسانية.

ومن هنا، حاعت دعوة الإسلام إلى تكوين اجتماعيات تتناسق مع أهداف لمجتمع لإنساني الإسلامي، تقوى بها روابطه وتنمو به صلاحياته لتقدم ولرقي فكان قول الله - تعالى

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَاتَّقُوا ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ﴾^(١)

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة.

كان هذا القول لكريم قاعدة عامة لتكوين نسيج المجتمع الإسلامي على أفضل ما تقوم عليه لمجتمع أمر بالبر والتقوى ونهى عن الإثم والعدوان، أمر جماعي إلى كافة أفراد المجتمع، ونهى جماعي كذلك.

وهكذا كان منهج الإسلام في القرآن وفي سنة رسول الله - ﷺ - إلغاء الظواهر المادية الصرفة، كعلاقة في المجتمع، وغرس البديل لها من العلاقات الإنسانية المثمرة خيراً وبراً وبركةً لئلي الإنسان.

فقد هدت مصوص القرآن والسنة النبوية الأعراف والعادات المحرفة عن الصراط المستقيم، المنافية للذوق الرفيع والتوجيه وعدلتها إلى ما هو خير وأجدي فعن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن رسول الله (ﷺ) قال إياكم والجلوس على الطرقات. قالوا يا رسول الله ما لنا بد من محالينا نتحدث فيها فقال رسول الله - ﷺ - إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: "عصر البصر وكف الأذى ورد سلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر." (١)

ففي هذا الحديث الشريف تهذيب لعادة جارية بين الناس، منذ أن كانت المجتمعات، وهي التبادلي إلى مكان عام يلتقون فيه وتدور أحاديثهم، وقد تكون هائلة جراحة، تصوب لبصر إلى الرئحين والغدين رجالاً ونساء، يتتبع الجالسون في الطرقات أو الواقفون على نواصي السوارع كل السائرين يتفحصون قسماتهم وثيابهم، يمسحونهم ببصارهم طولاً وعرضاً في تعليق ساخر.

(١) روه البخاري ومسلم، وأحمد في مسنده.

من اجتماعات الإسلام حق الطريق (١)

فحاء هذا القول السديد من صاحب الحلق العظيم رسول الله - ﷺ - موجهها مهذباً بعد إذ لمس حاجتهم إلى جلوس الناس حيث اعتادوا على الطرقت، قال فأعطوا الطريق حقه، ولما استفسروا عن حق الطريق، قال "غص البصر وكف الأذى ورد السلام و لأمر بالمعروف و لنهي عن المنكر . وبهذا وجه الرسول - ﷺ - أولئك الذين اعتادوا الجلوس على الطرقت أن يعضوا أبصارهم عن انتهاك حرمت السائرين في الطرقت، متتبعين حركات أحسادهم، متفقدين ثيابهم، يستنطقونها ما حوت وسترت، فيخجل أولئك رجالاً كابوا أو نساء، وقد تضرع خطاهم من حرط الخجل، ويقعون في حيرة وقلق عن ذوي هذه الملاحظة بالبصر إليهم

وغض البصر هذا مأمور به في القرآن الكريم صراحة في سورة النور التي تحوي لكثير الوهيز من اجتماعات لإسلام، قصد إلى إقامة مجتمع إنساني إسلامي.

ففي هذه السورة

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ رِزْقُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْعُونَ ﴾ (١)

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَنْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُتْدِينَ رِبَاسَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (٢)

(١) آية ٣ من سورة النور

(٢) من الآية ٣١ من سورة النور .

الدعوة إلى الله

ومن حق الطريق «كف الأذى» فقد يتعرض الجوس على الطرقات لإيذاء المارين بسوء القول وروره، أو بفعل يلحق الأذى بأجسادهم ونفوسهم وأموالهم، وهي هذا عدوان على الذس وتعريضهم للمهنة، ولقد حذر القرآن الكريم من إيذاء الناس بغير حق، فقال الله - تعالى - في سورة الأحزاب

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا ظَاهِرًا فَحَبِّلُوهُمْ بِأَسْوَفَ حَبْلٍ مِّنْ لَّنِ ۚ إِنَّهُ يَأْتِي بِالَّذِينَ كَفَرُوا بِإِثْمِهِمْ لَئِيْلٌ ۚ وَثَمَّ مُبِينٌ ۚ ۝١١﴾

ومن حق الطريق «رد السلام»

ذلك لأن من سنن الإسلام بحية المسلم لمسلم بالعبارة الماثورة في السنة «السلام عليكم ورحمة الله» لأن إفساء السلام - أي تبادل هذه العبارة - بدل على اجتمع الكلمة والمودة والمحبة بين المسلمين، وهو عام، أي لا يختص إفساء السلام بالمنعهرين فحسب، وإنما من سنن الإسلام إفساء السلام بين كل من عرفت ومن لم نعرف، كما جاء في حديث الرسول - ﷺ - الذي رواه الشيخان وغيرهما، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أن رجلاً سأل النبي ﷺ «أيُّ الإسلام خير؟ قال نطعم الطعام، ونقرأ السلام على من عرفت ومن لم نعرف».

وردُ السلام - أي الرد على من يسلم عليك - هو رد على التحية التي أهديت لك من آخر أو آخرين، وهذا الرد واجب حتم بأمر الله - سبحانه - في قوله في سورة النساء:

(١) الآية ٥٨ من سورة الأحزاب.

من اجتماعات الإسلام حق الطريق (١)

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِحَسَنٍ مِّمَّا أَوْ رُدُّوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝ ﴾ (١)

وهذا أدب اجتماعي كريم تنمو به العلاقات الاجتماعية بين لأفراد والجماعات، وإفشاء السلام من خير الأقوال البارة الودودة، ينبغي أن نحرص على هذه الصيغة التي تلقيها عن الإسلام، نتبادلها ونعلمها أولادنا ونسائنا، إنها عنوان على أن السلام له في الإسلام مكان كبير، إنها عبارة تضيفي على نفس من ألقاها ومن ألقيت إليه الأمن النفسي، والأمان على كافة الماديات الجسد والمال.

«والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، أي النصيح بسلوك طريق الخير، وتجنب اشروع والآثام، إن كان لذلك محل موجب، وإذا كان الأمر من أهل المعرفة بحكم ما يأمر به أو يهئ عنه حكماً صحيحاً في شرع الله - الإسلام - وهذا الحديث الشريف يسري حكمه ليس على الجالسين على الطرقات فحسب، سواء أكانوا في مجالس خاصة أمام المحلات التجارية والصناعية وأمثالها أم المقاهي التي تخالط الطرق وتضايقها، وإنما يمتد هذا التوجيه النبوي إلى كل جماعة تلتقي في مكان عام يعيشه الناس سائرين أو في قضاء حوائجهم، كالنوادي الاجتماعية ورياضية التي ألفها الدس في عصرنا، فلنحفظ للطريق حقه، أي للسائرين في الطريق رجالاً وساءاً حقوقهم، فلا نشغل الطرقات ونزحمها بالجلوس والوقوف، كما يفعل الشبان اليوم، ونؤذي المارين باصطرارهم للسير في نهر لطريق، الأمر الذي يعرضهم للأخطار، وبهذا نحفظ للمجتمع الإنساني الإسلامي سمته المميزة: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١)

وبالله التوفيق

(١) الآية ٨٦ من سورة النساء.

من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (٢)

والحفاظ على هذه الطرق بعمدة عبء عام كذلك على كل الناس، وفي مقدمتهم لسلطات المسؤولية عن صيانتها، وتبسيورها وتنظيمها وتنظيفها وترتيب لسير فيها، صيانة للأنفس والأموال.

وهذه الأعباء، وإن تولتها في عصرنا سلطات مسؤولة عنها وظرفاً من حيث إصلاحها ونظافتها وترتيب السير فيها، لكن الإسلام في أدائه واجتماعياته ناط بكل فرد هذا العبء.

ففي الحديث لذي رواه الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال « لا يمار بصع وستون - أو بضع وسبعون - شعبة، أدناها إمالة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله ».

وإمالة الأذى عن الطريق أي إزالته، والمراد بالأذى كل ما يؤذي الدر، كالجبر والشوك والعظم والراحاح والتجاسات، وكافة العوائق التي تعوق السير في الطريق وتؤذي السائرين، سواء أكانوا راكبين أم راكبين، وأرفعها أي أعلاها قدراً ومنزلة عند الله تعالى.

وإذا كان لفظ هذا الحديث الشريف قد أمرنا بإزالة الأذى من الطرقات؛ فإنه يكون - بالتالي - قد نهى عن إلقاء الأذى في طرقات الناس وشوارعهم، ومن ثم فإنه يحرم أن تلقى المخلفات في الطريق، سواء أكانت مخلفات أطعمة أم أتربة أم حجارة أم زحاح أم خشب، ومقتضى هذا أن على الناس الحفاظ على نظافة ونظام الشوارع.

الدعوة إلى الله

وهذا ما يقتضيه الذوق العام، وهو عنوان على الحصاراة والرقى، وها نحن نرى أن الإسلام قد تعيّا في تعاليمه الوصول إلى رقى الدوق وتحمبر كل ما حمس الإنسان في بيئته المنزل، والمسجد، والشارع..... إلخ.

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»، وفي رواية أخرى «مر رجل بفصن شجرة على ظهر الطريق، فقال والله لأنحن هذا عن طريق المسلمين، لا يؤذيه، فأدخس الجنة»، وفي رواية لأبي داود «بزع رجل لم يعمل خيراً قط عصن شوك عن الطريق، بما قال كان في شجرة فقطعه، وإما كان موضوعاً فأماطه عن الطريق، فتكره الله ذلك له، فأدخله الجنة».

ومن حملة لأحدث النبوة لوارده في آداب الطرقات والحفاظ على نظامها ونظافتها نستنبط فوائد منها

إن هذا العمل يدل على الإيمان الخالص لله تعالى باعتباره من شعب الإيمان وأنه يكسب حسنة ويثبت صدقة، وهو صريق إلى دخول الجنة وإلى النجاة من عذاب النار، ويجلب رضا الله تعالى، كما في الحديث الشريف السالف «فشكر الله ذلك له».

وبنه لمن حق الطريق في عصرنا - وقد تكاثرت السيارات وتنوعت وبرا حمت ونعددت مهامها - أن نطبع القواصير واللوائح التي وضعت لتنظيم لسير والوقوف (قواصير ولوائح وتعليمات المرور) باعتبار أن هي اتباعها إرلة لأذى من الطرقات، فلا تقع حوادث التصادم بين السيارات بسيحة السرعة غير العاقلة و لتسبق، وسير لمشاة في نهر لطريق، واخترق لإشارات لمروية، وشغل لأرصعة المحصنة

من اجتماعات الإسلام حق الطريق (٢)

لمشاة بوصع السيارب والبضائع عيب أو لجلوس ففها، كل هذ وغيره من أذى الطريق لذي أمر لرسول - ﷺ - بزالته وحعله شعبة من شعب الإيمان

والحرص على نظافة الشارع وبطامه، وتقين أحكام له تطبق على لمحالفين، من المأمور به في الإسلام، وهو أمر موجه إلى الكافة، ومرخص بالعفاب عند مخالفته، فإن الله - سبحانه - قد أثب وشكر ذلك الذي أزال عصب شوك من صريق لمسلمين وأدخله لجة، فمن وضع لأدى هي لطريق أياً كان نوعه كان قد أرنك ورراً وسبئة

وإن حرص الإسلام في تسريعه على تنظيم وسخلف الطرقات وحمايتها من كافة لعوائق ومما يصير بالمارس ويعوق حركه السير، من باب لوقاية، ودرء المفاسد، التي تترتب على شغل الطرقت.

وإن علينا أن نحفظ للطريق حقه من النظام والنظافة، فهذا وجه طاهر ومشرق للإسلام، تبدو اثاره حصارة بارزة تتحدث عن أثره وتثيره في أتباعه المسلمين، وفي الناس أجمعين.

وفي حفظ حق الطرق مزيين له، إذ يطل بظيف منظمًا، وتنت رينة وتعم سنعيه في شوارعنا، كما نحرص عيه في مسكننا، وقد من به علينا مئة ونعمة تدعونا لأن نجمل كل ما حولنا مما يدخل في صاقتنا على هذه الأرض

فقرى القرآن الكريم يقول في سورة الصافات

﴿إِن رَّيْتَ لِسَّمَاءَ الدُّنْيِ بِرِيَّةٍ الْكَوَكِبِ﴾^(١)

(١) الآية ٦ من سورة الصافات.

الدعوة إلى الله

وفي سورة فصلت

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأُوحِيَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرٌ وَرَبُّنَا كَسَمَاءِ
الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَحِفْظٍ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٢ ﴾^(١)

وفي الحجر

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ١٦ ﴾^(٢)

وفي سورة الأعراف

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ رِيئَهُ اللَّهُ إِلَيَّ أَحْرَجَ لِعِبَادِهِمُ الْوُجُوهَ وَأَلْطَمْتُ الْإِبْرَاقَ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ فَضَّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْمُونَ ٣٢ ﴾^(٣)

وفل هذه الآية في سورة الأعراف، الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد، فهذا يقتضي هذا أن نعمل على إعطاء الطرقات حقها من النظام والنظافة والريئة، التي أمرنا الله بها في ذاتها وفي مساجدنا، والتي أبعث بها عينا في تزيين السماء، فقال (وزيناها للناظرين).

ألا فنحفظ لطريق حقه، فلا نتسابق بالسبارات، ولا نتزاحم معها، و
تزاحمنا، وبصون الطريق عن الصخب والضجيج، وطلاق أبواق السبارات وغيره
من الأبواب التي تقلق الناس في الشوارع وفي البيوت، وتؤثر في مسامعهم
ونفسياتهم، كل هذا يجمعه قول الرسول ﷺ «الإيمان بضع وسنون - و بضع
وسبعون - شعبه أرباها إمطة لأدى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله»،
وبالله التوفيق

(١) الآية ١٢ من سورة فصلت

(٢) الآية ١٦ من سورة الحجر.

(٣) الآية ٣٢ من سورة الأعراف.

من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (٣)

لا يزال الحديث متصلاً عن حق الطريق، وملتقى مع حديث رسول الله - ﷺ - الذي رواه مسلم وأبو داود وغيرهما، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال «اتقوا اللاعنين»، فالوا وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال «الذي يتخلى في طريق الناس، أو في ظلهم».

وروى أبو داود وابن ماجه عن معاذ بن جبل، أن رسول الله - ﷺ - قال «اتقوا الملاعن الثلاث الرأز في الموارد وقارعة الطريق والطل».

واللاعن في هذين الحديثين يراد به الأمر الجالب للعن، والملاعن يراد بها المواضع التي تدعو الغير للعن صاحبها، ولتخلي يعني التبرز

هذان الحديثان قد جمعا الكثير من آداب المجتمع، وأرشدا إلى سبيل الوقاية من الأضرار، فضلاً عن الحفاظ على نظافة الطريق وموقع الضر وموارد الماء، وصونها جميعاً من التلوث بالقاذورات والنجاسات، مما يؤدي لئس في أجسادهم وأذواقهم.

ذلك لأن السرر في الطريق العام، أو هي الضل الذي يأوي إليه الناس، أو في موارد المياه (الأنهار والبرع والآبار) يهدر كرامة الفرد، ويحط من شأن مجتمعه، ومظهر من المظهر السيئة، التي تدل على تأخر المجتمع، ومن بفعل هذا إنما يبرز أسوأ ما فيه للنس، وتحت أنصارهم فاستدعى بذلك لعنهم إليه، أي الدعاء عليه باللعنة، وهو ظالم وهم مظلومون ودعوه المظلوم ليس بينها وبينه حجاب

ثم إن الناس يسلكون الطرق في عدوهم ورواحهم، ويتفشيون الطل مقيلاً وموتلاً، فكيف يستبج إسان أن يلوث طريق والطل الذي يحتاجه المجتمع، ويترك

لدعوة إلى الله

لهم فضلاته برائححتها لكريهة، ومطهرها الذي تدأى به الأبصار و تصبئ وتتنوهد عليها لحشرت و لهوم، لاسيم لذب الذي تستهويه هذه القادورات، يوزعها على كل مكان يهبط إليه، من إسان أو طعام أو شرب؟ والدب منذ خلقه به بسلوكه وعداداته وتلونه ونسائه في موقع الأقدار، أدة خطر على الإسان، وهي كما قيل (كلم دُبَّ ب)، أي أنها كلم طوردت رحعت إلى حيث صردت

فكيف مترخص إسان أن يكون فعله هذا مصدراً لتلويث الطرق وموارد المياه وحت لأشجار التي يستظل بها السائرون، فينتقر إليهم هذا التلوث في أجسادهم أو ملابسهم، وينجس الموقع والمورد، وما عرت عنه الأحاديث لشربة قد ترجمه لعلم إلى فدت وميكروبات مسببة لأمراض عاتية.

ذلك لأن هذه الأحاديث استوحيت اللعن أي الطرد من رحمة الله، وهذا هدي سوي شريف يحثنا على ألا سوث الطرق بالفضلات الآدمية، وكذلك الظل وموارد الماء ويؤكد هذا الاتجاه ما رواه مسلم وغيره أن النبي ﷺ «نهى أن يبال في الماء الراكد».

وما رواه الطبراني - في الأوسط - بإسناد جيد، أن النبي ﷺ «نهى أن يبال في الماء الجاري».

إد هذا ن لحدثان الشريهان يدلان بجلاء على خطر لتبول في مياه، سواء الركدة منها والجارية وهو ما كشف العم ضرره وتسببه في الإصابة بمرض البلهارسيا بنوعها، وبذلك نفسد هذه المياه، فلا نصلح للاستعمال في الشرب و لوضوء و لاسحمام، أو عسر الحضروب والملابس، وتصبح مياه لتتول فيها مجبة للأمراض المتنوعة التي تنشأ عن تلوث موارد المياه، وبذلك يدرك حرص الإسلام في تشريعه على لوقاية والحفاظ على صحة لأبدان حرصه على صحة الدين.

من اجتماعات الإسلام حق الطريق (٣)

ومن باب هذه الوقاية - التي اشبقت منها الكلمة السائرة «الوقاية خير من العلاج» - كانت تعاليم رسول الله - ﷺ - ووصاياه في مقدمة الفوائد الصحية التي يتعيها الدس الدين بلعوا شؤ في لحصارة، والتي علينا أن نأخذها بها، لأنها من الإسلام

روى البيهقي وغيره، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه، أن رسول الله - ﷺ - قال «من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رفع». قال الحافظ المنذري المراد بالوضوء غسل ليدين، وهو الفعل المقصود بحقيقته من الوضوء في هذا المقام.

وروى أنوداود والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه «من نام وفي يده غمر ولم يعسله فأنصاه شيء فلا يلوم إلا نفسه» والمقصود من كلمة الغمر، في الحديث هو الأثر ورائحة من ثر اللحم والطعم، وهذا تأكيد لضرورة غسل اليدين بعد تناول الطعام وتنظيف الفم.

ومن أمثلة «الوقاية خير من العلاج» في تشريع الإسلام قول رسول الله - ﷺ - «غصو الإناء، وأوكو السقاء، فبن في السبة لبة ينزل فيها وباء، لا يمر باباء لم بغط ولا سقاء لم يوك، إلا وقع فيه من ذلك الوباء».

هذه مثل من أقول رسول رسول الله - ﷺ - توصي بضرورة اتباع طرق الوقاية من التلوث والنحوط من مسببات الأمراض، فتحث على غسل ليدين قبل تناول لصعام وبعده، وقبل لبوم، كم تحث على ضرورة حفظ الأطعمة وعيرها مما بسعمل عدا، أو دواء أو شراب، في أواني معلقة ولا يدرك مكشوفة معرضة لتلوث إنه لحق إن من قواعد الإسلام الثابتة {لا ضرر ولا ضرار}، ومن ثم كان حقاً على لأمة أن ترعى الله هيما مربة، وأن تترك ما نهى الله ورسوله عنه، منعاً

الدعوة إلى الله

لنصرر بالنفس وبالغير، وحفاظاً على الأنفس والأموال، ونشراً لحضارة والنضارة، وحتى لا تتعرض للأوبئة والخسرة.

وهذا هو أمر الله - سبحانه - في سورة البقرة، بالابتعاد عن مواطن الهلاك ومسبباته.

﴿ وَبِغُفْوٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

وفي سورة النساء

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِإِلْطَافٍ إِلَّا أَرْبَاقًا
تَحْتَ حِجَابٍ عَن تَرَاصٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٢)

(١) آية ١٩٥ من سورة البقرة

(٢) آية ٢٩ من سورة النساء.

من وسائل بناء الشخصية في الإسلام

روى البخاري بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال لعن رسول الله -
ﷺ - المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال
إن الإسلام قد كرم الإنسان بالعقل، وفاضل بين الرجل والمرأة في تكوين
الجسدي فاختصر كلا منهما بميزات، وعلامات يعرف بها ويوصف
ولقد كان اجتماع الإسلامي السليم حفيظاً على أن تظل للرجس حصائسه
وصفاته ومهامه، وأن تحتفظ المرأة بما حصها الله من صفات ومهام وخصائص،
حتى بظل هذا المجتمع قوياً متمسكاً، يعرف كل من الرجس والمرأة موقعه فيه دون
أن تزول لفروق بينهما في المظهر والمخير.
ومن هه كان هذا الوعيد باللعن والطرء من رحمة الله وعونه ورصوانه للرجال
المتشبهين بالنساء، وللمتشبهات من النساء بالرجال.
بل إن في بعض روايات هذا الحديث «لعن رسول الله - ﷺ - المختين من
لرجال والمترجلات من النساء»، أى أولئك الرجال الذين يتشبهون بالنساء في
كلماتهن وحركاتهن وملابسهن، وهؤلاء اللاتي ينخلين عن خلق الله إلى التظاهر
بمظهر الرجال في كلامهم وحركاتهم وملابسهم
وفي هذا لحديث لشريف دعوة صريحة إلى ضرورة لحفاظ على الشخصية
المسلمة لرجل ولمرأة على حد سواء، فلا يجوز للرجل أن يتزبا بزى احتصت به
المرأة، كما أنه ليس لها أن تشرك الرجال بالظهور بمظهرهم في الزي والحركة
والكلام.

ولبس من الإسلام ما شاهده الآن على بعض الشباب من وضع السلاسل الذهبية حول العنق مدلاة على صدر مكشوف، ومن ارتداء بعض الفتيات (البنطون) الضيق المحدد للامع أحسادهن، وارتداء الفتيان والفتيات القمصان المشتركة التي لا يميز بها هذا عن هذه.

بل وقد كشفت الفتيات عن سواعدهن منشبهات بالفتيان فئرن الفتنة بهذا الصنيع، مخالفات بذلك أمر الله في القرآن

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلرَّوْحِ وَنَبَاتِكْ وَبِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْبِرْ عَلَيْهِمْ مِنْ خَنِيصِهِمْ دَكٌّ دَتَّى أَنْ يُعْرِقَ فَلَا يُؤْذِنُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ٥٩ ﴾^(١)

ففي هذه الآية الكريمة احتفاظ سمرأة بزيها الساتر السبع، لدي يحفظ لها كرامتها، ويقيها فضول النظر المحرم، ويصعها في نطاق العفة، فلا بحرؤ أحد أن يؤذنها بنظرة فجرة، أو بكلمة داعرة، ذلك قول الله

﴿ ذَلِكَ أَدَّتْ أَنْ يُعْرِقَ فَلَا يُؤْذِنُ ﴾^(٢)

إن هذه المشاهد التي نراها اليوم في شوارعنا ومجتمعاتنا، بل وجامعاتنا دخيلة على المجتمعات الإسلامية، وهدت إلينا من قوم غرقوا في لعبث بالقيم والفضائل، ونعروا عن كل فصل وعفه، وانحرهوا عن جادة الفدارة الإنسانية لسوية النبي فطر الله الناس عليها و انحرهوا بالحرمة إلى الفوضى.

(١) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

(٢) من الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

وكانت نتائج هذا على الإنسانية في هذا العصر وخيمة، وثمرتها مرة، كانت هذه الأمراض وتلك الأوبئة التي نجح الإنسان في حسمه وخلفه، كان هذا التيه الذي يتحسط فيه الشباب اليوم فكراً وخلقاً، دور الترام بالخلق والدين.

إن هذا الحديث الشريف يحدثنا من الانحراف شخصية الإنسان رجلاً أو امرأة، بل يحدثنا على أن نكون هذه الشخصية متوارية، سوية، متكاملة، لا يطغى فيها جانب على آخر، ولا ندوب أو بنهار، بل نحافظ على مقوماتها، ونحتفظ بسماتها، تقاوم الضلالات، وتسوس نفسها بما سسها به لإسلام، فتعطي لحسم حقه من العذية، دون إحلال بفصرة لله التي فطر الناس عليها

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَرٍ أَلِيمٌ ۝ (١) ﴾

وللمظهر ما يستوجبه من الرعاية دون أن تنتمي امرأة بزيها إلى غير أنوثتها، أو يتشبه الرجل في زيه بالمرأة، متجاوزاً خلقه إياه رجلاً سويّاً. إن على المسلم، وعلى المسلمة، بحكم الإسلام معالم لا بد من الاحتفاظ بها، وإن ما يفعله غير المسلمين في أنفسهم لا يصلح لنا ما دام غير متفق مع أحكام دين الله الإسلام.

ذلك ما يبدو واضحاً قاطعاً في الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد صحيح، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال

«لعمري رسول الله - ﷺ - الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل».

فلنعد إلى الإسلام، ولنستمع إلى وصاياه، ولنصلح مجتمعنا بأدائه، ولنبكن كل فرد رقيباً على نفسه، مستجيباً لربه فهو حسبه، وكفى به حسيباً.

(١) الآية ٥ من سورة سبأ.

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

هذه الصلاة، عبادة مفروضة، في ركعات معدودة، وسجودات محدودة، هي في الواقع بمقدماتها وركوعها وقبامها وتلاوة القرآن فيها، صلة بالله، بخاطب المصلي ربه بانيه، ويذكره في ركوعه بأعظم ذكر - سبحانه ربي العظيم - وفي سجوده بأعنى فكر - سبحانه ربي الأعلى -، لقد وصف رسول الله - ﷺ - اطمئنانه بالصلاة حين قال

«و جعلت قرة عيني في الصلاة».

هذه الصلاة انقطاع لحظات عن حركة الحية، ووقوف بين يدي الله - سبحانه -، يؤدي المؤمن فيها حق الشكر، وحسن الذكر، يتأخي ربه مخلصاً، متطهراً من أدران الحياة، وشوائب الأعمال.

إلى هذا يرشدنا رسول الله - ﷺ - في تنبيهه تقريبي للصلاة «لو أن بباب أحدكم بهراً، يغتسل فيه خمس مرات في اليوم والليلة، أكان يبقى على جسده من درن؟» قالوا: لا.. يا رسول الله، قال: «كذلك الصلاة».

تعالوا نتابع خطواتها - تلك الفريضة المطهرة، الباهية عن الفحشاء والمنكر

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ۚ

الدعوة إلى الله

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُخَيَّرَ عَلَيْكُمْ مَرَّ خَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ بِعَمَلِهِ عَلَيْكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾

بهذا: يعدن - سبحانه - للصلاة، لأنها وقوف بين يديه، ومواجهة له، فلا بد
لهذا الموقف - موقف المؤمن مع الله - من أن يكون طاهراً متطهراً

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿١﴾ وَالرُّحْزَ فَاهْجُرْ ﴿٢﴾ ﴾ (٢)

فإذا نصهر المسلم مستعداً للصلاة - انجذب إلى حاله، وشتعل قلبه بذكره،
وابصرف عن الدنيا وشواغلها ساعة الصلاة، فكأن بينه وبينها حجاب، أقامه
بدخوله الصلاة بقوله «الله أكبر» نعم - أكبر من الدنيا لأنه حالفها، وأكبر من
الإنسان لأنه - سبحانه - خلق فسوى، وقدر فهدى، فكيف يقف المسلم بين يديه
مشغولاً بغيره، منصرفاً بفكره؟

سبح الله أكبر، فتح بين الله وعبيده، ذكر اسمعه الله، ويثيب عبه، قوة للروح
والقلب، وإعلان دائم للإنسان أنه من خلق الله وإلى الله، فلا تستهويه الدنيا بما
فيها من رغائب وعجائب، ولا تنطره النعمة فتنسيه المنعم

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآسِئٌ ﴿١﴾ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَهُ نِعْمَةً رَحْمَتِي ﴿٢﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ (٣)

وبعد هذا الإعداد بالطهارة وحسن الزينة: نقف - بين يدي الله - متفرعين
صدرين في أوقات محدودة، وفرائض معدودة، نقرأ القرآن، وبركع ونسجد،

(١) الآية ٦ من سورة المدثر.

(٢) الآية ٤ و ٥ من سورة المدثر.

(٣) الآيات ٦ ٨ من سورة العلق.

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

وسبح لله كثيراً، ونصلي على أنبيائه ورسله، وعلى خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - جميعاً ونسبح - نشهد لله بالوحدانية، ولحمد بالرسالة، نلتزم رصده، في صفوف مستظمة تتبع إمامها، تتحرك بحركته، وتنطق بكلماته، تصاحبه تتبعه، ولا تسابقه أو تسبقه

هكذا نكون خمس مرات مجتمعين، كلنا يرقب الله، ويعتقد أنه

﴿ يَعْلَمُ خَائِطَةَ الْإِغْيَانِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾^(١)

وأنه

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(٢)

بهذا يكون الحضور في الصلاة، وبهذا تكون الصلاة صالحة مصلحة، ناهية عن الفحشاء والمنكر.

إن كيف يفكر المسلم في عصيان الله، واقتراف لإثم أو ترك الأمر، وهو قادم من مناجاة ربه مفضياً بين يديه بذات نفسه، وبعد هذا سيعود إلى نفس الموقف في فريضة أقرب، خمس فرائض تطهر النفس والجسد فما يبقى في واحد منهما من درن. هذه وطيفة الصلاة كما حددها القرآن

﴿ أَسْأَلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾^(٣)

(١) الآية ١٩ من سورة غافر.

(٢) الآية ٨ من سورة طه.

(٣) الآية ٤٥ من العنكبوت.

الدعوة إلى الله

ذلك لأن الصلاة والذكر يحملان على دوم المراقبة لله، ومحاسبة النفس، ومباعدة الهوى و للشيطان، فكر مصل - بحق - يحاسب نفسه في الأقوال والخواطر والأفعال.

هي الصلاة سبيل لوصول إلى الله، ومم الوصول إلى به إلا استقامة الطريق.

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا عَمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)

ومن قوله تعالى

﴿ فَلْهُدِهِ - سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢)

هي الصلاة تدعونا لتواضع، فلا تراحم، ولا تضارب، ولا تخطي للرقاب، و لمكان لمن سبوا، لا لمن استعلى أو لدوي الحاء، أو لصاحب لأموال

هي الصلاة، مساواة تامة، فالعبي والفير متجاوران بلقدم والحانب يركعان ويسجدان لانه و حد، ويتلوان قرأنا واحد، أو يسمعاه من إمامهم الواحد، لا يتأذى ذلك من هذا ولا يتعالى عليه.

هي الصلاة التي فرضها به على المسلم في كل حال، ففي حالة الإقامة و لسفر لصلاة، وفي السلم الصلاة، وفي الحرب الصلاة، وفي الصحة الصلاة، وفي لمرض الصلاة قائماً وقاعداً، وعلى حبه، وبالإيمان - بسر من به وفضلاً وتقريباً لعباد به من ربهم، يباحونه في عسرهم، كما بدجونه في يسرهم

(١) الآية ١١٢ من سورة هود.

(٢) الآية ١٠٨ من سورة يوسف

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (١)

إنها دعوة الأنبياء

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (٢)

ووصية الله إلى الأنبياء

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣)

وهي مسئولية كل مؤمنة ومؤمن عن نفسه وعن هو مسئول عنهم

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٤)

نعم هي الصلاة طريقنا إلى النظافة والنظام، والصف الواحد والكلمة الواحدة، والقبلة الواحدة، والهدف الواحد.

نعم هي الصلاة أدعو المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات إلى أدائها طاعةً لله بإقامتها، فبالصلاة تنظم أمورنا كانتظام صفوفنا فيها وتتحد قلوبنا، لأنها في صلاة متوجهة لرب واحد، وقبلة واحدة، نتلو آيات واحدة، نستعين بها عسى الله أن يجمع شمل الأمة ويوحد كلمة قاداتها ويذهب ما في الصدور، فقد

(١) الآية ٤٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤٠ من سورة إبراهيم.

(٣) الآية ٣١ من سورة مريم.

(٤) الآية ٥٥ من سورة مريم.

الدعوة إلى الله

تخففنا الأمم من حولنا، واستهان بنا من كانوا دوننا، فكانت الحروب غير المكافئة، لا لقلة عدد أو مال، ولكن بتفريق الكلمة وضياغ الهيبة.

نعم هي الصلاة.. التي كان يفرع إليها رسول الله - ﷺ - في لكرب والحرب، فلنجتمع في الصلاة، ولحافظ عليها.

﴿ وَنُزِّلَتْ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَقْرَأَ بِحَقِّ صَلَاةِ الْمَسْكُوتِينَ ﴾^(١)
لِلتَّقْوَى ۖ

ولندع الله أن يؤلف بين قلوب الأمة - شعوباً وحكومات، وملوكاً ورؤساء - عسى أنه أن يأتي بالفتح أو بأمر من عنده فتقوى عزائمنا، ويرتد من ستهانوا بنا مع كثرتنا.

والله غالب على أمره، وهو ولينا ونعم النصير.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَنَى حُوسِبِكُمْ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۚ ﴾^(٢)

(١) الآية ١٢٢ من سورة طه.

(٢) الآية ١٠٣ من سورة النساء.

واجب الأزهر في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة

واللغة العربية في ربوع العالم

كان الأزهر وما يزال في موضع الصدارة بين دور العلم في العالم الإسلامي، تدرس فيه كافة العلوم والمعارف في القرون المنعاقبة التي مرت به، وهو قائم شاهق برؤيته ومآذيه وقبائه ينير ولا يثير، يحفظ ولا ينسي، يجد ويجتهد في صنع أهل لعلم المنميرين في صفوفه وأنواره، فعلم الدين بفروعها من الفقه وُصوله، و لتفسير القرآن الكريم وسائر العلوم المتنوعة، والحديث عن رسول الله - ﷺ - وسيرته العظيمة، وعموم اللغة العربية بأنواعها من نحو وصرف وعلوم البلاغة وفقه اللغة وغيرها من الآداب والتاريخ والسير، كما كنت تدرس فيه الرياضيات و العلوم والحساب و لجبر والهندسة والفلك والميقات والصيعة والكيمياء فضلاً عن علم المطق والجغرافيا والفلسفة و طب والصيدلة.

ولقد ألف علماء وحريجوه في هذه العلوم المتنوعة، فأجادوا وأقادوا، ولم تكن مهمة علماء الأزهر الشريف محصورة في إلقاء الدرس على الطلاب فيه فحسب، بل فكروا في الجماهير الإسلامية التي لم تحص بالجلوس في حلقات الدراسة، فأرسلوا وفوده إلى شتى بقاع العالم الإسلامي وفي ربوعه، يتصلون اتصالاً مباشراً بالشعوب الإسلامية، عامةً، وقائيم مصر بوجه خاص في مساجدهم، وفي أعراسهم ومآتمهم، وأسواقهم، ونواحيهم، مبشرين ومنذرين وناصحين، عاملين على إزالة الخلاف والخلاف والثقافة بين الناس، ويجمعون المتخاصمين صلحاً ووفقاً، ويعملون في المدارس والجامعات العربية والإسلامية، حملاً لتبعة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر وإشاعة الثقافة الإسلامية الصحيحة بين

الدعوة إلى الله

جماهير الأمة الإسلامية في عرص شيق، وصورة صحية، نقوية للوعي الديني والخلقي والاجتماعي، وبعثاً للانتماء الوطني والإسلامي في نفوس الشعوب الإسلامية، وتثقيفها بالثقافة الحرة، التي لا تحضغ لقيود المعاهد والمدارس، ودراسة المشكلات الاجتماعية بين الأفراد والأسر وجماعات، والسعي إلى حلها في نطاق الإسلام وعقيدته وشريعته، مع إسهام الإيجابي في الدعوة إلى العمل والإنتاج، ورساء قواعد العدل والنعمون على البر والتقوى.

وها هو الأزهر يواصل رسالته، ويساعد على لتوسع في أدائها سرعة المواصلات والاتصالات في هذا العصر المنوَّثب هي كل شيء، فهو يرسل علماءه بالآلاف إلى اشعوب الإسلامية معمين ودعاة دون من ولا أذى، ينشرون صحيح العلوم والمعارف ووسطية الإسلام، ويعلمون اللغة العربية لغة القرآن

ثم ها هم طلاب العلم الوافدون إليه من كل صوب وحذب في العالم الإسلامي يقيمون للتعليم، ويعوبون إلى بلادهم، رافعين راية الإسلام، وشارحين تعاليمه.

وها هم خريجو الأزهر يقدمون علومه في الجامعات المصرية والعربية والإسلامية، حيث يقومون على تدريس علوم الشريعة الإسلامية، وفي المدارس المصرية آلاف من خريجي الأزهر، يعلمون الشء ويشاركون في تربية الأجيال، ومنهم من يقيم العدل بالعمر في القضاء والمناصب الإدارية في مصر وغيرها من الدول العربية والإسلامية ومنهم من يقوم على تحقيق كتب التراث وينشرها، وهم بذلك يرفعون علم الفكر الإسلامي، وبعلون منارته، ثم هؤلاء الذين يتخرجون من الطلاب الوافدين، لهم دور كبير في خدمة المكتبة الإسلامية والعربية حيث ينقونها إلى لغات شعوبهم، ذلك لأن الفكر العربي والإسلامي سبق، وهو لهذا مرجع كل الباحثين في هذه الدراسات

واحب الأزهر في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة

وليس هذا شأن الصلاب المسلمين الوافدين بحسب، بل إن كثيراً من الرعين في الوقوف على ثروة العلمية العربية والإسلامية من غير المسلمين، لا بد لهم من نعلم اللغة العربية والتعمق فيها، وهم يحدون في إنتاج الأزهر ما يعني ويعين ومجة الأزهر التي تصدر في غرة كل شهر قمري، تحمل رحيقاً سائغاً شرايه، صفيّاً من صنوف الثقافات والمعارف الإسلامية، وتصل الماضي بالحاضر مع ارتباط افاق المستقبل، وملحمة الشهري يطوف بالقارئ افاقاً متنوعة من الفتوى والتاريخ والأدب.

وبعد....

فلقد تبوأ الأزهر - منذ كان ولآن - مكانةً عاليةً في الدراسات المتنوعة الإسلامية والعربية والعلوم والمعارف التي استحدثت على مر القرون العشرة التي مضت من حياته المديدة - إن شاء به - فكان - بحق - رائداً في المحالات العديدة، وصار الذس في لعالم الإسلامي يرسلون علماءه، يأخذون عنهم العلوم والفتيا، لأنه يعتبر - بحق وصدق - مُعبراً عن وسطية الإسلام وعدله، يعمل بحكمة وروية، لبيان حكم الإسلام في كل جديد من الحادثات والصنائع، محققاً مقولة إن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان؛ لأنها من عند الله

﴿ أَفْحُكْمَ الْحَبِيبَةِ يَنْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^(١)

(١) الآية ٥٠ من سورة المائدة.

دور الأزهر في تحقيق التآلف والتضامن بين الشعوب الإسلامية

لقد عيش لأزهر الشريف - منذ أن كان - المسلمين في أفراحهم وأتراحهم، وحفظ بهم كنوز العلم في رحابه وبين جدران أروقته تثقف الفحول من أبداء المسلمين من شتى بقاع أرض الإسلام.

لقد عايش الأزهر الشريف المسلمين فكراً وعقائدياً وسياسياً، فكان لهم - على اختلاف مواقعهم على أرض الله وتنوع لغاتهم وألوانهم - سنداً ومدداً، عندما تعرضت بعض البلاد للعزو العسكري والفكري، وعندما انتكست الثقافة الإسلامية في بغداد على يد التتار، وعندما انحسر الحكم الإسلامي عن أسبانيا، ووقع العدوان على المساجد والمدارس، والمسجد الأقصى والقدس والعدوان الصليبي كان الأزهر الشريف في كل هذه المحن محط آمال علماء الإسلام يفدون إليه فتشتد به عزائمهم، وهو بهم ومعهم يقاوم التيارات المحرفة، ويصل الثقافة الإسلامية بتاريخها المتألق، وكان ومبزال المارة الميرة في الظلام الذي حيم هي فترات متعاقبة على الأمة الإسلامية، شمع صوته الفكري فسرى إلى كل أحاء بلاد الإسلام رافعاً لواء الحق، يجمع ولا يفرق، ويصون الود والعهد ولا يبدد

وبدا كنت المساجد الإسلامية - بوجه عام - قد قامت بأدوار هامة في ترويح الأمة الإسلامية، فمن الجامع الأزهر الشريف - كان وما يزال - يؤدي أدواراً عمية خالده.

لقد بعث بحهده - ونشر أشعة العلم والعرفان في أقطار العالم الإسلامي - حفظ اللغة العربية - والثقافة الإسلامية وبماها - وما يزال - لاسيما في العصور التي وقعت بلاد المسلمين فريسة الاستعمار العربي.

الدعوة إلى الله

وهو مع هذا يطارد الإلحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة ودعاه الفوضى والانحلال.

إنه يطارد لتكوك والحيرة، وهو بهذا يدهض اشقاء في العالم الإنساني، إن لا شقاء أبير من شقاء الحيرة والشك حين تصطرب بهما النفوس.

وهو هو الأزهر لم يكتف - منذ أن كان وللآن - بأن يؤدي دوره نحو الإسلام والمسلمين في موقعه محسب، بل إنه فتح باب رحابه وأروقته لأبناء المسلمين يعودون إليه من جميع الشعوب ينهلون من لعلوم النافعة للدين والدنيا، ويعودون إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين، يصححون العقيدة، ويشيرون الشريعة، وقد تحلوا بخلاق الإسلام التي عرفوها حيراً كثيراً، فأخرج بجهد مشكور بشراً سوياً - بالإسلام - من ظلمة إلى نور استنقدهم من شر مستطير إلى خير كثير وفير، والتقى في حلقات الدرس به الواقدون، فتلقوا وتحابوا - وصاروا بحمد الله - إخواناً، وما يرال الأزهر الشريف يستقبل الآلاف من رواد العلم وطلابه.

وليس هذا فحسب دور الأزهر في تحقيق التكف والتضامن بين شعوب الأمة الإسلامية، ولكنه مع هذا يبعث علماء إلى هذه الشعوب في مواقعها، يعايشون إخوانهم، وينشرون بينهم عقيدة الإسلام السمحة، ويبثون نصائحهم وإرشاداتهم، وينقلون إليهم من الجامع الأزهر الشريف مائدة القرآن الكريم، والعلوم التي انبثقت من آياته، باعتار أن الأزهر هو المستقر الذي أوت إليه علوم الدين واللغة بل وعلوم الدنيا.

إن الأزهر الشريف لم يعد بمعاهده وكلدت جامعته في مصر وحدها، إنما امتدت معاهده وكرلياته إلى خارج حدود مصر، في الشرق الأوسط، وفي غربه، وفي شماله وجنوبه، فهو بمثابة العروة الوثقى التي يلتقي معها وبها كل المسلمين،

دور الأهر في تحقيق التألف

مآثره من مآثر الروح الإسلامية التي تأتي أن تطفئ أنوارها أو تنطوي صحائفها.

وعالم الأهر لشريف فسيح مترام لا تحده الحدود والقيود والسدود، إنه عالم القلوب التي تسعى بالجهد الإسلامي الدؤوب في كل درب وسبيل في العلوم والفنون المتنوعة وأساليب الحكم، ومناهج الشرع، والدعوة إلى الخير. إنه يعمل ويجد ليحقق لمسلمين أملاً دعاهم الله إلى أن يعتنقوه

﴿ وَتَدْعُوا عَلَىٰ نَسْرٍ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۙ ﴾^(١)

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة

كيفية مشاركة الأزهر في صياغة

نظام إنساني عالمي

كيف ترون مشاركة الأزهر الشريف في صياغة نظام إنساني عالمي؟

هذا الإنسان صنع الله الذي أنقذ كل شيء، خلقه ففسواه، قامة مديدة مستقبمة، في هيئة سوية انفرد بها عما سواه من خلق الله ومنحه عقلاً به يعرف الرشد من الغي

﴿لَمْ يَجْعَلْهُ عَيْنِينَ ۖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَدَيْنَاهُ لِنَجْدٍ ۚ﴾^(١)

وقال تعالى بض

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۚ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْحَ مَرَّكَهَا ۚ وَقَدْ حَاطَ مَرَّكَهَا ۚ﴾^(٢)

هذ الإنسان الذي إذا أكرمه الله وكرمه، انتشى ونسي الرب الذي أكرمه ونعمه، وإذ ابتلاه، شتكى وبكى، ولم يذكر الله جحوداً للنعمة وعصياً - سبحانه -

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ۖ وَنَعَّمَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۚ وَإِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۚ﴾^(٣)

(١) آيات ٨ - ١٠ من سورة البند.

(٢) الآيات من ٧ - ١٠ من سورة الشمس.

(٣) الابتنان ١٥ و١٦ من سورة الفجر

الدعوة إلى الله

هذا الإنسان أرسل به إليه الرسل المتعاقبين

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾^(١)

وكان الإسلام الدين لخاتم من عند الله، كما كان رسوله سيدنا محمد - ﷺ - خاتم للنبيين إلى الناس كافة بالهدى ودين لحق، وهي كتابه القرآن تذكرة للناس، ودعوتهم إلى الأخوة للإنسانية، وعودة بهم إلى الأب الأعلى آدم، ولأم العلق حواء..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحَدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَنَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾^(٢)

وفي قوله تعالى أيضاً

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَنَثَى وَخَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(٣)

وهكذا نرى أن الإسلام اتجه في دعوته إلى استتارة الحس والمعاشي الإنسانية لدى الناس جميعاً ليتعارفوا ويتلفوا، ويكونوا المجتمع الإنساني الذي يحقق أهدافه وغاياته، التي خلق من أجلها، وجماعها إعمار هذا الكون بالعبادة لله وحده، وبالعلم والعمل المثمر.

(١) الآية ٦ من سورة الزحرف.

(٢) الآية ١ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

كعبية مشاركة الأزهر في صياغة

وإن كان الأزهر الشريف قد حمل لواء الإسلام وشرف بنشر علوم القرآن ولسنة الشريفة، فصلاً عن لحفاظ عليهم في الصدور علماً وعملاً، فضلاً عن الحفظ المسطور، إذا كان هذا فهو - ولا شك - مشارك في العلاقات الإنسانية لأنه يحمل دعوة لإسلام الذي تحدث كتابه القرن عن الإنسان بأسع وأجمل ما يكون الحديث والبلاغ.

والأزهر الشريف من أكثر من عشرة قرون من الزمان يمثل الإسلام في كل رأي يديه، والقرن يتحدث به ويبلغه الأزهر إلى الناس كافة، بسلم وسلام في كل شيء وكل حال، ألم يقل القرآن

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١)

ألم يقل القرآن في السلام الديني:

﴿ وَلَا تُحَدِّثُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا عَامًّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَنُزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴾^(٢)

ليس الآن فحسب، بل منذ كانت رسالة الإسلام، ومنذ كان الأزهر، وما يزال في منهج الأزهر وخطته إبراز دعوة لإسلام السلام، والمواخاة واحترام لرأي الآخر، والأزهر يشارك في كل عمل جماعي لخير الإنسانية، وكان صوته ورأيه في

(١) من الآية ٨٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت.

مؤتمر الأديان ببروكسل عام ١٩٣٦، وفي باريس عام ١٩٣٩، التزاماً بمنطق الإسلام، وما يزل الأهر وعلماءه في كل مكان يلتزمون بمنطق الإسلام في مواجهة الجديد من الأحداث، وبقاعة تامة لم تختلف كلمة الأهر، ليوم عنها بالأمس، لأن المصدر واحد، هو القرآن وسنة رسول الله - ﷺ - أليس في القرآن قول الله - سبحانه -

﴿ لَا يَتَّخِذُ اللَّهُ عَمَلَكُمْ فِي الدِّينِ لَمْ يُقْضَوْكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنَّ تَرَوْهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ تَجِبُ الْمُقْسَطِينَ ﴾ (١)

هذا هو الإسلام، وهذا الذي يجري عمل الأزهر الشريف في نصقه إنه يواجه الأحداث بمنطق القرآن، لم يسلك طريقاً أو طرقاً معوجة ولم يمار بالباطل، لأنه يعرف أن الشر قضية خاسرة، ولم يكره أحداً على فكر، وإما يعرض على الناس الفكر الرشيد الخالص لله لصالح الإنسانية عامة والمسلمين خاصة.

إن الأزهر الشريف يرحب بنظام إنساني تتزامن فيه ديانات السماء، لإصلاح الحياة الإنسانية، وتبرئتها من الإباحية المطلقة، ومن الانتهازية الملققة، نظام يحافظ على ما بقي في النفوس من هبة واحترام للدين، ودرء الأخطار التي تحيط بالإنسانية بقصد استظهر حيوانية الإنسان وتغليبها على إنسانيته، والبعد عن تنمية لشعور الديني بالأحقاد والضعائن، إذ ذلك يؤدي إلى إشعال البغضاء بين بني الإنسان، وازدياد الفساد في الأرض.

(١) الآية ٨ من سورة الممتحنة.

كيفية مشاركة الأزهر في صاعة

إن الأزهر يث على لسان عمائه إشاعة المحبة والمودة بين بني الإنسان جميعاً، دون تفرقة بسبب الدين أو اللون أو اللغة أو الفقر أو الغنى.
إن كثيراً من جوانب الحياة إنساني، تشترك فيه الأديان لسماوية جميعاً والأزهر الشريف يدعو إلى التقاء الناس جميعاً على أساس

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)

فباحتفظ كل فريق بدينه لعقدي، ولنترك العقل والمنطق يعملان دور إكراه أو إعرء
إن الإسلام الذي يحمه الأزهر ويعمل به قد حذر من التعرض لمخالفه
ماد موا مسالمين، لم يادن بقنال إلا في نطاق محدد صبق بنص القرآن الذي يقول
إن الأزهر مشارك بالفعل في الدعوة إلى السلام الاجتماعي عامة، والسلام
بين الأديان خاصة، ولكن الوليد مايزال في دور التكوين، ولن يكون لإجهصر إلا
من قبل من لم يؤمنوا بحقوق الإنسان وأهمها السلام
مع الله، ومع النفس، ومع الناس.

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة.

حوار الثقافات العالمية ودور الأزهر فيه

وكيف يكون فعالاً؟

لا يجادل أحد في أن حركة الفكر والثقافات الإنسانية ودورانها على جسات هذه الأرض أمر واقع منذ أن كان بنو الإنسان شعوباً وقبائل يتعارفون باللغات المنصوفة والصور المرسومة أو المحفورة، يتناقلون المعارف والعلوم والصناعات ويتصادمون، في الفكر وهي ميدان الحرب، وكل ذلك وأولئك يستتبع الاختلاف في التخاطب. ولتعرف على الأسماء والمسميات والمصطلحات والثقافات، فهو حوار عالمي دائم بالمقال وبالفعال يصل الإنسان بأخيه الإنسان صلة مباشرة بمواجهة وبالمواصلة وبالانتقال إلى طلب العلم والمعرفة والحرف

وهو نحن إذا راجعنا تاريخ الحركة الثقافية العالمية سنجدتها تناقت وتلاقت بين الشعوب والقارات منذ القدم، فالثقافة اليونانية والرومانية والفارسية ثم الثقافة الإسلامية التي التقت مع هذه الثقافات وتبادلت معها علومها ومعارفها ولعانها بعد أن ندمح كثير من شعوبها مع المسلمين، إما مواطنين يزاولون علومهم ومعارفهم وششاطاتهم الحياتية في أمن وحرية، وإما أولئك الذين تعرفوا على الإسلام ديناً قويمًا وعقيدته وشريعته و دابه وأحلاقه وسوكياته، وحده على تنمية العلوم والمعرفة و لفنون المتنوعة، ترقية لأذواق الشعوب التي انتمت إليها وصارت عضواً هي دولته و اندمحت تراثها الفكري والثقافي حتى التأمت وتواءمت مع الفكر الإسلامي وثقافته.

وجاء دور الأزهر الشريف منذ انفتحت أبوابه للصوات ولحالس العلم وحوار العلماء لبحر دور المسلمين والإسلام في حوار الثقافات عالمياً، فيتحد لذلك من

الوسائط أدومها وتقدرها على التفاعل مع كل تلك الثقافات، وذلك حتى يبقى خبثها ومستنقي خيرها الذي يعين على سقنة لمعرفة لعامة لمؤثرة في توفير سبل الحياة الكريمة للأمة الإسلامية. فكانت أروفة الأزهر الشريف مؤثلاً للطلاب من كافة الشعوب في العالم، بصهر بحمما ع علومهم ومعارفهم وعاد تهم وأحلافهم، وتفاعل حتى سرر نمطا ثقافياً مجبوا بالصدق والحق ينسم بسمات الإسلام هي السلام و لوراعة والحمية الحقة لإرساء دساتير حياة بي الإنسان في نقاء وصفاء توحه إلى احترام حقوق الإنسان

كل إنسان، لا فضل لعربي عى غيره ولا لأبيض على أحمر أو أسود، كلهم أحوه في الإنسانية تم الإسلام وأي ثر فعل من اللقاءات والمحاورة في حلقات لدرس، وفي التعيش في الأروقة. حتى إء ما أتم الطلاب علومهم وتأهلوا بأنواع لثقافات والمعرفة، عادو إلى شعوبهم مبشرين ومنذرين ينقلون إلى تلك الشعوب ما حصلوا من المعارف.

ووسيلة أخرى لا تقل فعالية وقوة عن سابقتها هي إيفاد علمائه إلى شعوب الأرض ينشرون العلم والثقافة والمعارف المنتقا، التي هي خلاصة مستخصة من كن لشوائب وثقافة تدور في كل الشؤون و لشجون واجتماعيات وأخلاقيات وسياسات تنطلق بتحارب الحدة وصوبط ومعايير الإسلام، التي تنبع من نصوص القرآن، الكتاب الذي لا يأتيه الباصر من أي حهة المحفوظ بحفظ الله الذي أنزله على رسول الله - ﷺ - بشيراً وبديراً مع هانين الوسيدين الفعاليين بسهم علموه وطلاب العلم في أرحائه وأروقتة في اللقاءات الثقافية في ربوع العالم، فهم يشاركون في المؤتمرات المتنوعة هي أماكنها وموضوعاتها علم وعملاً، ولقد تكاثرت وفود طلاب العلم على الأهر باعتباره الجامع والجامعة وصاحب الأثر

حوار الثقافات العالميه ودور الأزهر فيه وكيف يكون فعالاً؟

لناهر الحالد انذى صاحب لزمان في عشرات لقرون، ما عبرت هممه عن أداء رسالته وما غاب عن قومه بل عن أممه الإسلامية في ستنى موقع شعوبها، فهو معهم على أرضهم بأسائهم ليس عادو إليهم بعد أن تزودوا منه وفي رحبه بالعلم والثقافة الدفيعين، وهو مع كل هذا يسعى بمعاهده وكليات جامعته وعلمائه إلى كفة أحاء الأرض في المراكز الثقافية وفي الجامعات والمعهد العلمية إيماناً بأن بني لإسان إنما ترتقي معارفهم بحوار الثقافات و لمعارف.

قوة الأمة في وحدتها

إن الله - سبحانه - جمع أمة الإسلام على قبلة واحدة وفروض معدودة في أوقات محدودة، لتكون ذلك مبعها لهذه الأمة تحتذيه في كل أمورها. ووجههم إلى هذا في العديد من آيات القرآن مثل قوله - سبحانه -

﴿ إِنْ هَدَيْتُمْ أُمَّتَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رُكُومٌ فَاعْبُدُوا ۚ ﴾^(١)

وقد استقام أمر المسلمين وكانت بهم مكانتهم في هذه الحياة بين أمم الأرض، وأفادوا لدنيا علومهم ووصعوا دستير الحكم وقوانين مستمدة من شريعة لإسلام فستقام بهم العدالة وتوفر الأمن والأمان. وكان الإسلام هو نسبهم وهو جنسيتهم التي بها يعرفون، وإن اختلفت لغاتهم وألوانهم، لأن ربهم قال لهم في كتابه

﴿ يٰٓأَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِحْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَحْوَابِكُمْ ۖ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۚ ﴾^(٢)

هكذا صنع الإسلام الأمة وبنائها جسداً واحداً، بقلب واحد كما أمر رسول الله - ﷺ - في قوله "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر".

بنا نذكر من رواه لتاريخ في لفتنة التي وقعت بين المسلمين بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - وافتراق لأمة شيعاً، يقاتل بعضها بعضاً، في هذا الوقت،

(١) الآية ٩٢ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ١٠ من سورة الحرات.

الدعوة إلى الله

والنزع عسى أشده بعث قصير لروم إلى معاوية بعرض عليه مدداً هي قتال علي بن أبي طالب.

فماذا كن حواب معاوية؟ مع أنه كن في حاجة إلى المدد والسند، قال لفيصر كلمة بحن في حاجة إليها لأن لا حاجة بنا إلى شيء مما قلت، فإما كفت واصرفت، ولا بعثت إليك بجيش أوله عندك وآخره عدي حتى يملك به صاحبي ما تحت قدميك".

بهذا كان الخلاف بين الرجلين، لا يستنجدون بعدو على أمتهم وإمامهم كالأحزاب إذا أحاط بهم السوء، سو خلافتهم وأماوتوا ما بينهم من نراع ووقفوا صفاً واحداً وفتاً واحداً، يدعون عن أمتهم وعن أمنهم وسلامتهم حماية لدينهم الذي ارتضاه لهم ربهم.

وها هم المسلمون اليوم في شتات بعد أن ظهرت بينهم العصبية والشعوبية. ولقد كشف لنا رسول الله - ﷺ - في حديثه الشريف هذه الحالة، فقال "يوشك أن تتداعي عليكم الأمم، كما تدعى لأكلة إلى قصعتها". قالوا "أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال بل أجمع يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله لملأمة من قلوب أعدائكم، ويلقين في قلوبكم الوهن" قالوا "وما الوهن يا رسول الله؟" قال "حب الدنيا وكراهية الموت"^(١).

نعم هذه أرض المسلمين تنتقص من أصرافها، فمئذ يضع مئات السنين وفي غمرة الشقاق والنزاع بين حكام المسلمين، ضاعت الأندلس. وفي عصرنا هذا، ونحن شهود ضاعت فلسطين، ونحن من حولها نتنادى بالويع والتبور وعظائم لأمر. لكل من ينصح أو يذكر بالوحدة، واتخذوا لهم قبلة غير قبلة المسلمين،

(١) سنن أبي داود.

قوة الأمة في وحدتها

واحتموا بأعدائهم، بل واتخذ كل لنفسه سنداً وظهر يتنسب إليه، فنحل رباط الأمة، وتفسخت أوصالها وتحاربت حنودها.

إن الدين عند الله الإسلام، وإن رسولنا محمداً - ﷺ - قال "الدين النصيحة" قالوا "من يا رسول الله؟" قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعادتهم".^(١) وهـ نحن ننصح أمة المسلمين شعوباً وحكاماً، أن ينزعوا الغل والخصام من قلوبهم، وأن يتجاوزوا هذه لحلافات والمنازعات، وأن يكونوا بدءاً واحدة، وقيماً واحداً، وأن يجتمعوا على مائدة القرن وعلى شرع الإسلام يقول الله عز وجل

((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا))^(٢)

كوبوا على قلب رجل واحد، فإن لله - سبحانه - قد هيا لهذه الأمة كل سبل الوحدة، كما قلت لغة واحدة، وقرآناً وهدى، وقبلة واحدة، وعادات وحدة. فكيف تتفرون حتى يتحصكم الدس من حولكم؟ كيف تتدزعون حتى استأست حرذر والحفافيش التي كانت تعيش في الظلام وفي تيه الشعوب الأخرى؟ إن مثلاً واحداً قريباً لابد أن نذكره ونستعيده، ذلك هو حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣).

لقد كانت وقفة العرب مجتمعين لها وزنها وقدرها بين شعوب الأرض حتى أحس كل الطعنة أن العرب أمة لها وزنها في تسيير دفعة هذه الحياة. إن لدى العرب المال والرجال والزراعة والتجارة ومعهم كل أسباب لقوة المادية، وقبلها قوتهم الإسلامية.

(١) مسند أحمد عن ابن عباس.

(٢) من الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

الدعوة إلى الله

فعلى العرب أن يذكروا وقفتهم القريية في حرب رمضان، ويرفعوا رايات السلام فيما بينهم ويمدوا حبل المودة والمحبة والإخوة، وليعتصموا بالوحدة التي وهبهم الله عناصرها:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾ (١)

بهذا يعودون أمة مهابة، تحمي نفسها، ويرتفع قدرها، فإن عالم اليوم لا مكان فيه للضعفاء. إننا نرى الدول الغربية التي لا رابطة بينها تترايط وتتكتل في مجموعات سياسية واقتصادية مع اختلاف لغاتها، وتباين عاداتها، فما بالنا وقد توافر لدينا كل أسباب الوحدة، نتجاوزها مستبدلين بها الفرقة والاختلاف.

يقول الله:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ ۚ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنِّ وَّالٍ ۝﴾ (٢)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١١ من سورة الرعد.

الفهرس الموضوعي

الصفحة	الموضوع
٥	تعريف
٧	مقدمة
١١	الدعوة إلى الله
٢٣	الاقتصاد الإسلامي وأسه في القرآن والسنة
٢٣	هموم المسلم المعاصر وملاح هذه هموم من منظور إسلامي
٢٧	حقوق الإنسان والمنظور الإسلامي
٤١	تعالوا إلى كلمة سواء (الجدل حول تطبيق الشريعة)
٤٩	الأقليات الإسلامية
٥٣	العبادة والعمل
٥٧	رعاية الإسلام للمصلحة وتيسيره على الناس
٦١	الإسلام رسالة عالمية يخاطب الناس جميعاً على أساس العدالة والمساواة
٦٥	المصالح المعتبرة في الإسلام
٦٩	منهج التدين في الإسلام
٧٣	دور المسجد في التوجيه الاجتماعي للمجتمع الإسلامي
٧٧	الإسلام والسلام
٨٣	الإسلام والسلام (السلام مع الله)
٨٧	الإسلام والسلام (السلام مع النفس ومع الناس)
١٠١	دعائم الوحدة بين المسلمين
١٠٥	حرص الإسلام على طهر الخاية وشرف الوسيلة
١٠٩	الإسلام دين الإنسانية

الصفحة	الموضوع
١١٣	العقيدة وأثرها في الإصلاح
١١٩	الأموال في الإسلام
١٢٣	الأموال واستثمارها في الإسلام (١)
١٢٩	الأموال واستثمارها في الإسلام (٢)
١٤٧	من يسر الإسلام و آدابه
١٥١	العلم والتعليم في الإسلام
١٥٩	أهمية النية في الإسلام
١٦٣	نظرة الإسلام إلى المال والعمل
١٦٧	تكريم الله للإنسان وحرمة قتل النفس إلا بالحق
١٧٣	المسلم كيف يكون مع خالقه ومع مجتمعه؟
١٧٧	من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (١)
١٨٣	من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (٢)
١٨٧	من اجتماعيات الإسلام حق الطريق (٣)
١٩١	من وسائل بناء الشخصية في الإسلام
١٩٥	إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
٢٠١	واجب الأزهر في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة واللغة العربية في ربوع العالم
٢٠٥	دور الأزهر في تحقيق التآلف والتضامن بين الشعوب الإسلامية
٢٠٩	كيفية مشاركة الأزهر في صياغة نظام إنساني عالمي
٢١٥	حوار الثقافات العالمية ودور الأزهر فيه، وكيف يكون فعالاً؟
٢١٩	قوة الأمة في وحدتها

